

٥٦٧



دار م. النحاس

مِلْكَةُ الْجَنَّةِ

567



HARLEQUIN

*tiilas.com/vb3*

نورة

قانون التجاذب

بيبني جورдан

## قانون التجاذب

بيتني جورдан

عندما اضطربت حياة شارلوت العملية والشخصية معاً.  
رأت نفسها محظوظة إذ وجدت عملاً في مؤسسة جفرسون

وهو روش المحترمة، حتى ولو شريكة أقل مرتبة، ولكن  
دانيال جفرسون كان كالملح في البحر، كان لديه كل ما  
حلمت به لنفسها... الشهرة، المجد، تهافت الناس عليه...  
لقد شعرت شارلوت بجانبه بأنها فاشلة، كما ان دانيال لم  
يساعدوها على النقا بتضليلها وذلك بمعاملتها كمساعدة له،  
ومراقبتها عن كثب، وغضي غضيها واستياؤها على  
انجذابها إلى هذا الرجل البالغ الوسامه والجاذبية... إلى  
ان عبر دانيال عن اعتراضه الواضح على هذا التناهى  
بيتهما.

سوريا: ٦٠ س - الكويت: ٧٥ قلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم -  
ال سعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٤  
درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

كان دانيال ينظر إليها بطريقة جعلتها تنسى كل شيء عن عملها.

اتسعت عيناهما عندما أخذت عيناه تتأملان وجهها التسقرا في عينيها عدة لحظات أخذ قلبها يخفق اثناءها، كانت خفقات قلبها تتسارع بشكل مخيف جعلها تشعر بالدوار وقد انحدست انفاسها، ثم قال لها ببساطة: «كنت افكر فيك طوال عصر هذا اليوم....»

نور

# بيـنـي جـورـدان

---

بيـنـي جـورـدان كانت في متاعب مستمرة في المدرسة و ذلك بعدم استطاعتها التوقف عن احلام اليقظة، و خصوصاً اثناء دروس اللغة الفرنسية، وفي سنوات المراهقة كانت قارئة نسمة الروايات العاطفية، رغم انه لم يخطر ببالها كتابة قصة بنفسها إلى ان اصبحت اكبر سنأ، «أول نصف دزينة» من محاولاتي انتهت بشكل فخر، ولكنني ثابررت على الكتابة إلى ان انهيت أولى رواياتي و وجدت الشجاعة لإرسالها إلى الناشر، معتقدة انه سيرفضها، ولكن هذا لم يحدث.

وبـيـنـي متـزوـجـة و تـعيـشـ في تـشـيشـاـيرـ.

---

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالإنكليزية:

LOVE OF ATTRACTION

*lilas.com/vb3*

Copyright © by Penny Jordan 1992

ISBN 0-373-11705-1

Mills & Boon first edition October 1992

## الفصل الأول

توقفت شارلوت امام مبني المكاتب، وهي تمعن النظر في اللوحة التي تحمل رسم جفرسون وهوروبيش، مكتب محاماة.

كانت ركباتها ترتجفان قليلاً، بسبب تنورة طقمها الصوفي القاتم الزرقة والذي شعرت فجأة بأنه اقصر مما يجب رغم انه يعتبر في لندن على شيء من التزينة، وهكذا اختت تجنبه إلى أسف قليلاً بينما تجرل ببنظراتها في احياء ساحة السوق المزدحمة بالعمل.

كان الوقت لم يك يتجاوز الساعة الثامنة صباحاً، ولكنه كان يوم السوق واصحاب مناضد المبيعات يجهزون عرض مبيعاتهم لهذا النهار.

ربما كان عليها ان تشتري لنفسها ثوباً جديداً اكثر ملائمة لمحامية قد ابتدأت تدريبيها لتتوها رغم انها مؤهلة منذ سنوات ولكن المشكلة هي انه ليس بامكانها حالياً دفع ثمن ملابس جديدة.

عادت تقرأ الاسم (جفرسون وهوروبيش).

حسناً، لقد سبق وقابلت ريتشارد هوروبيش، فهو الذي اجرى لها مقابلة للوظيفة، رأته صاحب أسرة متوسط السن يمثل نموذجاً لمحامي الأرياف.

اما بالنسبة إلى جفرسون... وتنفست شارلوت بعمق. ثم قالت لنفسها بمرارة ان عليها

ان نواجه الأمر وهو انه كان من الأفضل لها ان تعمل لدى أي شخص بدلاً من دانيال جفرسون، الأمل الذهبي الجديد لمهنة القانون، الرجل الذي استطاع وحده تكريباً ان ينتصر لقضايا المضطهدين والمسحوقيين، وفي قضيته الأخيرة، كان موكلاه ضحايا رفض قاس لشركة كبرى للأدوية الاعتراف بأن التأثيرات الجانبية لدوائهما قد سبب اعراضاً جسمانية ضارة لأولئك الذين تناولوه، دون ان تعمل شيئاً في هذا السبيل، وقد كسب هو لهم القضية، ليس فقط اعتراف الشركة باهمالها، وإنما أيضاً استخلاص اكبر تعويض لهم سبق وفرضته محاكم إنكلترا.

وإذ وقفت تتأمل لوحة الاسم النحاسية اللامعة على باب ذلك المبني الفخم البييج، لم تستطع إلا ان تقارن بين ظروف دانيال جفرسون وظروفها.

كانت هي أيضاً محامية مؤهلة وما يتبع ذلك من لوحة تحمل اسمها على الباب، وهي أيضاً كانت يوماً ما نصيرة قضايا أولئك الذين كانوا بأشد الحاجة إلى اللجوء إلى النصائح القانونية دون ان يكون بإمكانهم دفع نفقات ذلك، ولكن هنا ينتهي التشابه بينهما.

ذلك انه بينما كان دانيال جفرسون ناجحاً يتهاافت عليه الزبائن، خصوصاً بعد الشهرة الذائعة التي اكتسبته إياها قضية شركة الأدوية تلك، بينما كان هذا هو وضع جفرسون حالياً، كانت هي بالمقابل، مضطربة إلى البحث عن عمل كموظفة... مضطربة إلى العودة لابتداء العمل مرة أخرى من أول السلم ونذلك لأنها خسرت بيتها وعملها وحتى خطيبها، بعد ان التهم الركود الاقتصادي الذي كان يخنق ويهدم بيشه

كثيراً من الأعمال، التهم هذا كله، ربما عليها كما اخذ والادها واصدقاؤها يقولون لها، ان تكون مسؤولة لتمكنها من الحصول على مثل هذا العمل بدلاً من البقاء في مثل هذا الغضب، والحزن على ما حدث لها.

لكنها غاضبة حزينة، فقد كانت بذلك الكثير من المشقة للوصول، أو لا في الدراسة، ثم في أول عمل لها حيث كانت أول امرأة مؤهلة تتدرب في لندن حيث ساعدها الحظ على العثور على عمل، حتى انها تعودت عدم الرد بالمثل حين كان الرجال الذين كانت تعمل معهم يحاولون الحط من شأنها وإذلالها، ملتفونها باكثر الأعمال رتابة ويعثوا على السام، وحتى في بعض الأحيان لم يكنوا يتورعون عن ان يطلبوا منها ان تصنع لهم القهوة، نعم، لقد كان عملها شاقاً في تلك الحين، ولكن لهدف واحد في خيالها، وهو ان يكون لها مكتب محاماة مستقل، وقبل ان تبلغ الثلاثين.

وقد شعرت بنفسها تطير فوق السحاب حين ساعدها الحظ، هي وخطيبها بيفان على العثور على مكتب محاماة معروض للبيع.

في تلك الحين كان سكان لندن قد اخذوا بالانتقال جماعات إلى خارج لندن، يحدوهم إلى ذلك فوائد المعيشة في الأرياف، ثم كما كان بيفان اخبرها، ستكون مجنونة لو أنها لم تغتنم هذه الفرصة.

وهكذا اشتربت المكتب بمبلغ افترضته من المصرف جعلها تجفل لحجمه، كما انها اشترب لنفسها منزاً صغيراً أنيقاً على مقربة منه. على كل حال، وكان هذا رأيها ورأي بيفان أيضاً، عندما يتزوجان فان هذا المنزل في المدينة

سيكون كافياً لها ما الاثنين، وفيما بعد يمكنها ان يبيعه بربع جيد ثم يشتريها بيتاً اكثراً اتساعاً.

كانت المنطقة التي يسكنها في ازدهار متزايد واسعار الاملاك فيها ترتفع بشكل هائل، كما اكتشفت شارلوت اثناء مزاييدها على المنزل والمكتب معًا، ولحسن حظها كانت قد استدانت مبلغاً كافياً جعلها تفوز على غيرها من المزايدين ولكن هذا استند كل ما لديها من نقود كما زاد عن رصيدها في المصرف بدرجة كبيرة، هذا إلى المبلغ الضخم الذي كانت استدانته من المصرف.

عند ذلك شعرت بشيء من الخوف، ولكن بيقان ضحك منها، وهو يسألها عما جرى لها، فهي لم تكن قلقة لوى نفس المجازفة التي يقوم بها الرجال على الدوام، فقد قال لها متحدياً: «ما الذي جرى لكن انتن النساء؟ تطلبن المساواة وعندما تحصلن عليها...»

ثم هز كتفيه دون ان ينهي جملته، ولكنها ادركت ما كان يعنيه.

وكان من طبع بيفان سرعة الانفعال والحكم على الأمور، وكان هو يعمل سمساراً معروفاً في شارع المصادر.

كانت شارلوت قد نفرت منه، في البداية، وهو يتحبب إليها، ولكنه مالبث ان اقنعها بأن الذنب في ذلك تنبها هي اذ أنها بالغة الجاذبية.

كانت خطوبتها غير رسمية، وإنما هي أقرب إلى اعلان تصمييمها على الزواج حالما يبلغ الاثنان مستوى معيناً من المركز الاجتماعي.

كانت شارلوت تعلم ان والديها، وخصوصاً والدتها، كانا

بحيرة بالنسبة لهذا الترتيب، فالخطبة في نظر والدتها كانت تعني خاتماً مأسياً وموعداً للزفاف.

لكن شارلوت لم تحصل لا على خاتم ولا على موعد زفاف، وها هي ذي الآن دون خطيب كذلك، ونظرت بكلبة الى ذلك الباب الفخم المدهون باللون الأسود اللامع والذي ستدخل منه إلى حياة جديدة مختلفة تماماً، إذ ستعود القهقرى إلى مرحلة، في عملها كانت تظن انها خلفتها وراءها منذ سنوات.

كانت في الثانية والثلاثين، وأكبر سنّاً من ان تعود إلى أول السلم لقيداً من جديد، ولكن هذا كان تنبها هي فهي وحدها المسؤولة عن فشلها.

«لقد فشلت لأنك كنت تقبلين قضايا كثيرة مجانية من باب الاحسان». هذا ما كان بيفان قاله لها بقصوة عندما انفجرت باكية وهي تخبره بان المحاسب في البنك اخبرها بأنها قد افلست وان عليها ان تتوقف عن العمل وانها إذا كانت محظوظة، محظوظة جداً، فقد تتمكن من بيع البيت والمكتب لكي توفي دين المصرف.

هل كان ذلك هو السبب؟ وهو انها كانت تقبل العديد من القضايا دون أجر؟ أم لانها ليست في الحقيقة، محامية ماهرة وانها غير مجددة في عملها، وان ليس لديها المقدرة على اجتذاب ذلك النوع من الزبائن الذي هي بحاجة ماسة إليه لإنماء رصيدها في البنك؟ ذلك النوع من الزبائن الذين يبدو انهم يتدققون على امثال دانيال جفروسون في هذا العالم؟ وتملكتها التعasse. لماذا لا يتدقق عليه الزبائن، والصحف كافة وبقية وسائل إعلام تشيد بنكره وتکيل له

المدين؟ وقد قال المثل: «لا شيء أكثر نجاحاً من النجاح نفسه»؟

كان هو السبب في أن مكتب جفرسون وهوروويش يقبلون موظفين جدد رغم هذا الركود الاقتصادي والذي هو الأسوأ من نوعه في هذا العقد من السنوات، والذي جعلها تقف هنا على عتبة هذا المكتب الفخم، شاعرة بأن عليها أن تكون شاكراً لما قد يكون اقنع ريتشارد هوروويش بتوظيفها عنده. كانت شاكراً طبعاً، ولكنها أيضاً كانت غاضبة، مجرورة الكrama، واهم شيء هو ما تملكها من مراقة وهي تقارن فشلها بنجاح دانيال جفرسون.

كما أنه كان في السابعة والثلاثين فقط أكبر منها بخمس سنوات، غير متزوج ووسيم الشكل، هذا الذي صدقته الصورة التي نشرتهاه الصحف، ولم تكن قدراته على شاشة التلفزيون حيث أنها كانت في ذلك الحين في قمة انتغالها بما حدث لها من ارتباك وفوضى في أمورها المالية، وببيع بيتها ومكتبهما لتسديد ديونها للبنك، والآن وقد انتهت من ذلك كل، صار بإمكانها على الأقل، ان تمام الليلة دون ان تؤرقها تلك المشاكل. ولكن لم يعد لها بيت خاص بها، وعليها أن تعود إلى البداية لكي تبدأ كل شيء من جديد. ولخيراً هتفت تعنف نفسها: «كفى، كفى شعوراً بالأسى على نفسك».

سحبت نفساً عميقاً، ثم دفعت الباب، وخلفها في الساحة، سمعت صفير رجل، ربما كان يعني به فتاة مارة لم يكن لديها ما يشغلها سوى حيرتها مع أي من المعجبين بها ستخرج الليلة، وتملكتها الكآبة وهي تفكر بذلك الشكل. عندما توارت في المبني، التفت الرجل الذي كان يصفر

إلى مرافقه وهو يقول ضاحكاً: «انها لنزيدة جداً، يا سيد جفرسون، لا اظنني رأيتها من قبل، هل هي جديدة؟» «هذا ما يبيدو». قال دانيال جفرسون ذلك وهو ينتظر أن يزن له البائع كمية الجبن التي كان يشتريها.

كان ذاهباً لرؤياً توم سميث العجوز عصر هذا اليوم، وكان توم ما يزال مشغول البال بشأن ما قد يحدث لكرمه وقطعة الأرض الصغيرة التي يملكتها، بعد ان يموت، لم يكن له ورثة مباشرون، وإنما فقط عدة أقارب بعيدين من جهة زوجته، وكان اهتمامه هذا لأنه كان يريد أن يطمئن إلى أن الغلام لاري باركر الذي كان يشتري له دوماً حاجياته ويزوره على الدوام لمساعدته في العمل في حديقته، الغلام هذا يجب الاتركه دون مكافأة على شهامتنه نحوه، وكان توم مولعاً جداً بنوع الجبن المحلي، وللهذا توقف دانيال ليشتري له شيئاً منه.

إذن فقد جاءت شارلوت فرنتش، وكان دانيال قد ساوره الشك في ذلك عندما أخبره ريتشارد بأنه قدم إليها الوظيفة. كان قد قرأ شهاداتها طبعاً، ولكنه كان يتساءل كيف ستتمكن من الاستقرار معهم، مثلاً ملابسها هذه... لم يكن شخصياً، يهمه نوع الملابس التي يختار الرجل أو المرأة ارتداءها، ولكن لسوء الحظ، بعض الزبائن ليس لديهم نفس نظرته إلى هذا الأمر.

بالرغم من كل ما رافق قضية شركة الأدوية فيتال من دعاية وشهرة، فاغلب اعمالهم ما زالت تأتي من نفس المصدر المحافظ التقليدي التي اعتادت الزبائن دوماً أن تأتي منه، ولديهم حالياً كثير منهم، لن يعجبهم أن يروا

المحامية ترتدي هذا النوع من التنانير هذا إذا شاءت هي ان يعتبرها محامية حقاً.  
تهدق قليلاً وهو يعبر الساحة، كان قد عرف من شهادتها مقدار نكائها البالغ، ولكن...  
\*\*\*

رحبت بشارلوت، حين دخلها موظفة استقبال جميلة باسعة الوجه. كان واضحأ أنها تذكرتها من حين إجراء المقابلة، وهكذا تبرعت على الفور بمرافقتها إلى حيث المكتب المعين لها.

سألتها شارلوت بشيء من القلق: «ولكن، لا يأس، بالنسبة إليك، في ان تتركي مكتبك عند الباب؟» فابتسمت الفتاة لها وهي تقول: «آه، نعم ولكن السيد هوروويش هو الذي طلب مني أن آخذك إلى مكتبك حين وصولك». وأضافت تقدم نفسها وهي تخرج من خلف مكتبتها: «إنتي جيني، بالمناسبة». ثم أشارت إلى باب إلى الشمال: «هذا مكتب السيد هوروويش. وهذا مكتب السيد جفرسون». نظرت إليه شارلوت بنظرة عدائية. تلك أنه لم يكن لديها شك على الإطلاق في أي من المكتبيين هو المترف الغالي الأثاث.

«وهذا مكتبك.» قالت لها جيني ذلك مشيرة إلى باب بعد باب مكتب جفرسون مباشرة. مكتبه؟ وشعرت بالحيرة قليلاً فقد كانت تتوقع أن تشارك المحامين المتدربين مكتبهم وذلك من الطريقة التي بها وصفوا لها عملها. ربما جيني لم تستطع أن توضح

الأمر جيداً، ولكن ما أن فتحت الفتاة لها الباب ودخلت هي حتى أدركت أن المكتب هو لشخص واحد فقط. ترددت، ثم نظرت إلى جيني قائلة: «هل أنت واثقة؟ أعني أنتي... كنت أتوقع أن اشارك آخرين... مكتبهم.» بدا الإضطراب على الفتاة: «آه، ولكن السيد هوروويش قال لي أن أحضرك إلى هنا. كما أنه قال إنه لن يكون موجوداً هنا الصباح وأن السيد جفرسون سيوضع لك كل شيء.»

فخاص قلب شارلوت ونظرت حولها بدھة إلى أنحاء المكتب المفروش بشكل مريح جداً ويطل على ساحة المدينة وفجأة فارقها الغضب ليحل مكانه شعور بالخوف والعجز

قالت جيني: «الأفضل أن أعود إلى مكتبي. ستحضر إليك ميتسري القهوة حوالي العاشرة والنصف، ولكن إذا شئت في غير هذا الوقت فهناك مكان لصنع القهوة في غرفة جلوس الموظفين وهي في الطابق الأعلى. وقد جهز السيد جفرسون تلك القاعة بشكل كاف بحيث أصبح يمكننا تناول غدائنا فيها إذا شئنا فهناك مطبخ صغير ملحق بها. سكتت برهة ثم عادت تقول: «حسناً، إذا لم تكوني بحاجة إلى....»

فابتسمت لها شارلوت وهزت رأسها، ثم أخذت تنظر إليها وهي تخرج من الغرفة. كلا، إنها ليست بحاجة إلى شيء، هذا إذا لم نضع في الحسبان عملها وبيتها، واحترامها لنفسها، وكبرياتها ومستقبلها وخطيبها. وانتبهت إلى أنها جعلت خطيبها في آخر القائمة. أتراما

كانت تشعر على الدوام بأنه غير ثابت؛ وأنه لن يقف بجانبها إذا حطت بها الأيام؛ وأنه كان يريد لها فقط عندما تكون ناجحة، أتراه كان يحبها حقاً كما كان يدعي، والأسوأ من ذلك هل أحبتها هي حقاً... كما يحب والداتها بعضهما بعضاً، مثلاً؟

تقدمت إلى النافذة وأخذت تحدق إلى الشارع. كان ثمة رجل يقترب من الباب الأمامي. كان طويلاً القامة عريضاً الكتفين، يلمع شعره الأسود الكث في أشعة الشمس. وكان يتحرك بنشاط ورشاقة.

كان يرتدي بنطلون داكن اللون تقليدية التقسيل تماماً، فهي من نوع البدلات التي يرتديها الرجال المهرة. المحاسب... المحامي... وحقق قلبها وهو يقف عند العتبة ويرفع بصره نحوها، وكانت شعر بقصصها له. عرفته على الفور طبعاً رغم أن الصورة الفوتografية الوحيدة التي كانت رأتها له كانت باهنة غير واضحة المعالم. ولكنه يبدو لها في الواقع أكثر قوة ورجولة وقوة في البنية والشخصية.

أسرعت في التراجع عن النافذة، وقد احمر وجهها، وهي تدفع أصابعها في شعرها بغضب، تزيحه عن وجهها. كان شعرها هو الشيء الوحيد الذي رفضت تغييره حين أصر عليها بيفان أن تساير في مظهرها الطراز الحديث. فقد كان مستقيماً كثاً لاماً، ولو أنه الأحمر القاتم طبيعياً تماماً. وكانت تتركه مسدلاً على كتفيها ينافق لونه القاتم بياض بشرتها وعينيها الخضراء. كان بيفان يريدها أن تمضي وقتاً طويلاً في الشمس

لتكتب بشرتها السمرة، قائلاً بأن شدة بياض البشرة هو شيء قديم الطراز وغير جذاب، ولكنها كانت ترفض على الدوام وهي تخبره بأن ثمة خطراً على البشرة الناضجة البياض في تعريضها للأشعة سواء الطبيعية منها أم الصناعية.

ربما كان عليها، عند ذاك، أن تنتبه إلى إشارات التحذير فتدرك أن بيفان كان يريد لها طبقاً لصوره معينة عليها أن تكيف شكلها بها، وليس لصورتها الطبيعية ذلك أنها اكتشفت وبسرعة فائقة، أنه ما أن توارت أوسمة النجاح التي كانت تزين صورتها، حتى اختفى معها بيفان.

لاباس، ربما عندما تشفي من الصدمة، ستكتشف أن كرامتها كانت أكثر تاثيراً من قبلها، ولكن حتى في تلك الحين... سيمضي وقت طويلاً قبل أن تعود إلى الثقة بالرجال. وما زاد في ألماها أن بيفان هو الذي ابتدأ بملاحتها، وغمرها بالورود وكلمات المديح، بينما يحاول في نفس الوقت أن يجعلها تغير من صورتها الطبيعية.

كان والداتها وشقيقتها يعتقدون أنها كانت أيسراً حالاً بدونه وكانت تعلم أنهم على حق، فهو الذي جعلها تسترئي مكتب المحاماة والبيت والسيارة الفخمة، ما جعلها تفرق نفسها في الديون.

على الأقل، كان الدين الوحيد الذي مازال عليها الآن هو المبلغ المسحوب من البنك فوق رصيدها.

لقد رفضت في البداية الامتثال لطلب والديها منها في السكن معهما دون إيجار. فقد ألمها أن تعود إلى بيت والديها في سنها هذه، وشعرت معه بالمنزلة بالرغم من حبها لأسرتها، ولكن كما قالوا لها برقة إن عليها أن تسدد للبنك

مبلغًا كبيراً، ومن الحماقة إنفاق ثقودها على استئجار بيت في هذه الحالة.

حتى سيارتها الصغيرة القديمة هذه والتي تستعملها الآن لقطع نحو الخمسة عشر ميلًا يومياً للوصول إلى عملها، هذه السيارة قد اشتراها هالها والدها. واغرورقت عيناها بالدموع وهي تذكر مبلغ الخزي والتلاasse الذي شعرت به عندما أحضرها لها، ولم يكن السبب أسفها على خسارة سيارتها الرياضة ماركة «ب. إم. دبليو» التي كانت لديها، فقد كانت تجدها في الحقيقة، غير مرحة أثناء القيادة، كما أنها هي لم تكن تحب المبارزة والمفاخرة إلى حد امتلاك مثل هذه السيارة. كلا إن ما تكلما هو علمها بفطحها وأنها عادت إلى الاعتماد على والديها كما كانت أثناء الدراسة، وربما أكثر. ولم يكن هذا يعني أنهما، أو اختها الكبري سارا، قد ظهر منهم شيء سوى العطف والرقابة. ولكن حتى العطف كان مؤلماً لاحتماله.

كانت تشعر بالذنب والخزي وهي تفكير في انقيادها إلى مشاريع بيفان دون تفكير. لقد تصرفت بحمامة وثقة أكثر مما يلزم، وهكذا ليس هناك من يستحق اللوم لحالتها الحاضرة سواها.

لكن ما كان يؤلمها أكثر من أي شيء آخر، هو اعتقاد كل من عرف بما حدث لها، بأن الكفاءة المهنية لا بد كانت تتقصّها، ولو من ناحية ما حتى إنها رغم اعترافها بجميل ريتشارد هوروويش إذ أعطاها هذه الوظيفة، إلا أنها كانت من بعض النواحي، تشعر بالاستياء خوفاً من أن يكون هذا قد صدر عنه بداعي الشفقة والإحسان.

ما الذي جعله إذن، يمنحها هذه الوظيفة في الوقت الذي يبحث فيه المحامون الجدد عن وظائف؟  
 ودانيل جفرسون هذا، مثلاً، وغاص قلبه قليلاً. إنها لا تزيد سوى أن لا تتصل به كثيراً. وربما من غير المنطقي منها هذا الشعور العادئ نحوه، والذي ليس من عادتها، ولكن يبدو أن مزاجها المرح عادة، قد تغير أثناء الستة أشهر الأخيرة. فقد أصبحت عاجزة جافة غير قادرة على الامتناع عن تكرار ما حدث مرة بعد أخرى، متمنية لو أنها كانت رأت ما هو قادر لتنفذ ليس نفسها فقط بل عملاها أيضاً الذين كانت تقوم بخدمة مصالحهم مجاناً دون أجر.  
 مع، كان من المؤسف حقاً أنها لم تر ب بصيرتها أن دانيال جفرسون، يعكسها هي، كانت عينه على هدف واحد هو النجاح وذلك يبدو في الطريقة التي تناول فيها قضية شرب الأدوية فحاز كل ذلك النجاح الملحوظ.  
 سمعت باباً يفتح وشخصاً يدخل غرفة المكتب القريب، فسارعت تجلس خلف مكتبه. لا بد أن دانيال جفرسون قد وصل إلى مكتبه ليبدأ عمله اليومي.  
 تساءلت بمرارة عما عسى أن يكون عمله هذا؟! التيار ربما في قضية تجلب إليه المزيد من النجاح، أم نعده يستعد لمقابلة تلفزيونية؟ لقد كانت قرأت في إحدى الصحف عن مبلغ مهارته في التعامل مع أولئك الذين كانوا يجرؤون له المقابلات. إن بعض الناس تتلقى الصحف بنجاحهم، وزدهار اعمالهم. وتذكرت الفقرة الصغيرة المذلة التي كانت نشرتها صحيفة محلية تصف إغلاق مكتبه هي مشيرة إليها بصفتها إحدى ضحايا الركود الاقتصادي.

إن عليها أن تضع الماضي خلفها.. هذا ما كان قاله لها والدها برفق، مضيقاً أن ليس مما يشين المرء أن يحاول فيفشل، وأنه يرى ذلك أفضل بالنسبة إليها مما لو كانت تطّلت إلى وظيفة في مكتب جماعي واسع، متوكية السلامة. لكن شارلوت لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تتذكر مبلغ الزهو الذي تملك والديها حين تخرّجت. وبشكل ما، خطر الآن ببالها أن والديها لم يكن لها الحق في الشعور بمثل تلك الزهو، كما أنها هي ليس لها الحق في أن تتلقى احترام وثقة زملائها.

وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار التعسّمة، إذا بباب مكتبهما يفتح. أغلقت وهي تغالب ذوعها كانت على وشك التدقق، ثم جاهدت لكي تقف وهي تلعن، أثناء ذلك، تتوّرتها البالغة القسر.

وابدأتا تقول: «آه، يا سيد هوروبيش...» ثم سكتت ذلك لأن القاسم لم يكن السيد ريتشارد هوروبيش والذي كانت تتوقع منه، بطبيعة الحال، ناسية كلمات جيني وسط اضطرابها هذا، أن يأتي إليها لكي يخبرها بالضبط عن طبيعة عملها هنا. وإنما كان دانيال جفرسون.

## الفصل الثاني

«إنني آسفة».أخذت شارلوت تعترض بهذه الكلمات وهي تشتم نفسها لأنها لم تنظر جيداً قبل أن تخاطبه بغير اسمه. فقال لها دانيال جفرسون ببساطة: «لاباس في ذلك. كان بيتسّم لها بحرارة، ما جعل استياءها منه، لسبب ما، يزداد وكذلك ضيقها من نفسها.

«إنني آسف بعدم وجودي هنا عند وصولك. لقد تأخرت في الطريق هذا الصباح، ولكن لا بد أن جيني قد أرتك مكان كل شيء». لقد كنت رتبت الأمر مع مارغريت لويس، المسؤولة عن المحامين الجدد الذين يتدرّبون هنا، لكي تنزل من الطابق الأعلى الساعة العاشرة والنصف لتأخذك إلى قاعة الحضانة لتقديمك إليهم.

### «قاعة الحضانة؟»

فعاد بيتسّم، قائلاً: «آسف، فهذا الاسم نطقه على الغرفة التي يعمل فيها المتدرّبون عندنا. من جهة لأنهم يتدرّبون، ومن جهة أخرى لأنهم يقيمون في الطابق الأعلى والذي كان، يوماً ما عندما كان هذا المكان منزلًا خاصاً، كان

الطابق الأعلى، هو قاعة الأطفال في الواقع».

سكت عن الحديث وهو ينظر إليها متأملاً. وعلى الفور عاد إلى شارلوت شعورها بذاتها وبطابع الحياة اللندنية في مظهرها، فغالبت دافعاً يدفعها إلى شد تتوّرتها إلى أسفل. أهي تصوراتها أم هي ابتسامة خفيفة حقاً مالمحت

كاد الشعور بالمرارة والاستياء أن يصعقها وهي تستمع إليه. أتراء يظن حقاً أنه بحاجة إلى أن يراقبها أثناء عملها؟ شعرت بيديها تتنفسان حتى لتكاد تنفرغ أظافرها في راحتبيها وهي تقاوم الإغراء في أن تخبره برأيها في تصرفه هذا. عليها لا تستسلم لهذا الشعور. وحاولت أن تركز تفكيرها على ذلك الدين المرهق الذي عليها للمصرف، وعلى حنان وكرم والديها. فهي ليست في وضع يمكنها إدارة ظهرها إلى عمل... أي عمل... مهما كانت درجة مقتها لمن عرضه عليها.

لم يكن معنى ذلك أنه هو الذي أعطاها الوظيفة. فهي بإمكانها أن تخفي ما حدث عندما أعلن ريتشارد هوروش أنه قدم إليها الوظيفة.

لا بد أن ريتشارد كان عليه أن يريه شهادتها، طبعاً، وكانت كلها موجودة، فهي لم تخفي شيئاً شاعرة بأن مثل ذلك العمل ليس شيئاً.

أثناء إجراء المقابلة كان ريتشارد قد سألاها عن أسباب فشلها، فأجابته بصراحة وصدق.

إن بإمكانها أن تتصور مبلغ غضب رجل مثل دانيال جفرسون وهو يعلم أنه عرض عليها الوظيفة فقبلتها.

كان يتكلم إليها مرة أخرى، فأقرفت نفسها على ترکيز أفكارها وهي تستمع إليه بوجه قد كساه قناع من التلذج. لقد جهزت قائمة بالقضايا التي أنها بحاجة مستعجلة إلى أن تساعدني فيها. أرى أنه مما يفيد في ذلك لو أنه تمضين عدة أيام تتألقين فيها مع الملفات. أنا لا أدرى إذا كان ريتشارد قد شرح لك الأمر. ولكن هذا المكان كان في

على زاويتي فمه وهو ينظر إليها؟ وشعرت بجلدها قد ابتداً يلتهب.

رأى بمرارة، أن كل شيء كان حسناً جداً بالنسبة إليه فقد ساورها الشك، وهي تنظر إلى بناته الشينة المخاطبة باليد، في أنه قد ذاق شفط العيش، يوماً إلى درجة لم يستطع معها أن يشتري لنفسها ملابس حتى من المتاجر الشعبية. حسناً فليهزاً منها إذا شاء فهي لن تهتم أكثر من اهتمامها بكونه هو الذي ييقن هنا يلقي إليها بتعليماته بدلاً من ريتشارد هوروش... أو من اهتمامها بعزلها عن بقية الموظفين كما ترى وذلك في هذا المكتب الملاصق لمكتبه لماذا؟ هل ذلك لأنه رغم ابتسامته الحارة لم يكن في الحقيقة، يريد لها موظفة هنا مع البقية؟ هل من الممكن أن يكون اعتراض على توظيف شريكه محامية مثلها... فاشلة... محامية لم تبلغ من النجاح في المهنة مبلغه هو؟ أتراء طلب بنفسه وضعها هنا منعزلة بهذا الشكل وذلك لكي يراقب عملها... لأنه لم يكن يثق بها مهنياً؟ كان هذا ما ذهبت إليه ظنونها.

تمسك بكرياؤها، والذي كان حطمه ما حدث لها، تمسك بهذه الفكرة الجديدة.

وسألها: «هل تظنين أنك ستكونين مرتاحة هنا؟ إنني أعلم أنك معتادة على العمل بمفردك، ولهذا أرجو أن لا تجدي العزلة مثيرة للأشمئزاز وطبعاً، الباب الموصل بين المكتبين هو عادة يبقى مفتوحاً». وأشار إلى باب أدركت شارلوت أخيراً أنه يؤدي إلى مكتبه.

الأصل مكتب محاماً صغيراً. ولم يحدث قط أن تخصصنا هنا في حقل خاص. فنحن نفضل التعامل مع أي قضية تأتي إلينا. وفي اعتقادي أن تنوع القضايا يضفي متعة على العمل. وعندما نشعر أن هناك شيئاً يتجاوز قدراتنا فإننا نحيل الزبون إلى مكتب آخر، أو في حالة شعورنا بأن في قدرتنا السير بالقضية فإننا نقبلها بشرط أن يبحث الزبون عن النصيحة عند محام آخر إذا هو شعر بأننا لا نقدم له الخدمة الجيدة التي يريدها. قد يكون هذا طرزاً قدرياً في المعاملة ولكنني يناسبنا، وقد وجدت أنني لا أرغب كثيراً في العمل في حقل واحد.»

شعرت شارلوت بوجهها يلتهب هل كان على أن يذكرها بمحاجتها إذ كانت تركز على قضايا نقل الملكيات والعقارات؟ أرادت أن تخبره بأنه لم يكن أمامها طريق آخر، وأنها لم يكن لديها ما يمكن من الوقت لكي تتبع في **نور** توسيع قضاياها... خصوصاً وسوق الممتلكات بهذا النشاط، ثم عن كل القضايا المجانية التي كانت تقوم بها من باب الاحسان.

لقد كان بيغان يثور غضباً منها لهذا الأمر. وقد طالما تجادلا بشأنه، فكانت تقول له إن الوقت هو وقتها هي وأنها حرفة في بنله مجاناً لو أرادت. وأنها حتى ولو لم تربى مالاً، فيكون لها رضاء أن تشعر بأنها تساعد أنساساً لولاتها لما حصلوا على العدالة. ذلك ان الذهاب الى المحكمة هو أمر مكلف للغاية لا يستطيعه أي كان.

وكان دانيال جفرسون يقول: «هذا شيء جديد بالنسبة إلى، إذ لم يسبق لي مطلقاً أن تعاونت مع أحد بهذا الشكل

المتقارب من قبل، باستثناء عملى عند أبي بعد تخرجي، وهو الآن مقاعد بطبيعة الحال، وعلى كل حال، على أن اعترف بأنني أصبحت في حاجة ماسة فعلاً إلى مساعدة مؤهلة بالنسبة لكثر العمل الذي أنهى به حالياً.»

مساعدة إنها إذن موظفة بصفتها مساعدة دانيال جفرسون. وغضبت داخل فمها لتكتبه ما أرادت أن تعلنه من احتجاج كاد يختنقها. لم يخبرها أحد عندما اعطيت الوظيفة، بأن عملها سيقتصر على كونها مساعدة لDaniyal جفرسون... بل على العكس، كان المفترض أن تكون أحد مجموعة المحامين المتخرجين حديثاً الذين يعملون في مكتب المحامين بصفتهم محامين مؤهلين لدوائر الشركات الكبرى القانونية.

لقد كانت تصورت أنهم سيقومون بكل الأشياء التافهة المملة بينما يستمتع دانيال جفرسون بهالة المجد. ولكن الاكتشافها بأنها ستعمل خصيصاً لأجله وتحت أمرته كان بمثابة صدمة غير سارة لها.

تملكها الإغراء في أن تتحداه أن يكشف عن الحقيقة بدلاً من تغطيتها بالتلقيح الزائف، والاعتراف بأن غرضه الحقيقي من وضعها في هذا المكتب بجانبه هو أنه لا يثق بها وليس لأنه يعتقد حقاً بأنها ستكون مصدر عون له. سحقتها هذه الفكرة وألمتها بشكل أكثر مما تستطيع احتمال الاعتراف به لكي تدرك ما الذي كان يحدث. لو أن بإمكانها فقط أن تستسلم لمتطلبات كرامتها، فتخبره بأنها غيرت رأيها، فهي لم تعد ترى هذه الوظيفة، ثم تخرج من هنا مرفوعة الرأس.

ولكن هذا لم يكن باستطاعتها... لم يكن أمامها سوى أن تصرف بأسنانها ثم تمنحه ابتسامة باردة كالثلج.  
وبعد، فما هي إلا مجرد موظفة... بينما هو دانيال جفرسون القوي المتسلط، الذي إذا كانت أوامرها أن تخفي بقية حياتها العملية تصنع القهوة وتأخذ الرسائل إلى مكتب البريد، فليس بإمكانها أن تتعرض أو تفعل شيئاً إزاء ذلك.  
كل العصاوة والقنوط الذي عانته طوال أشهر الإذلال الأخيرة أخذ يغلي الآن في أعماقها مكوناً فورة جياشة من المشاعر موجهة نحو الرجل الواقع أمامها.

كل شيء كان حسناً بالنسبة إليه، فلا شك أنه لم يسبق له أن خطأ قط، ولم يغلط بشيء، كما أنه لم يعان من الشعور بالمنزلة وهو يخسر كل شيء تقريباً... الوظيفة... البيت...  
الحبيب... .

لم يكن هذا يعني أنها وبيفان كانا حبيبين بالمعنى نور المفهوم. إذ من الغريب أنه بعد ملاحقتها والتودد إليها، ما لبث، بعد أن أصبحا خطيبين، أن شغل في العمل على تغيير مظهرها وعملها وذلك على حساب توثيق علاقتها العاطفية. كما كان خروجهما دوماً مع جمع من أصدقائه ذوي المستوى العالي ومن نفس العالم الذي تعوده هو.  
واعترفت لنفسها بتعasse بأن بيفان قد ملأها بالحماسة لهذه الحياة ما جعلها تتجرف معهم في حياتهم البانحة هذه.

ثم سمعت دانيال جفرسون يسألها إن كانت تريد شيئاً.  
لو كانت تريد شيئاً... نعم، إنها تريد أن تستعيد احترامها لنفسها، أن تربى كرامتها، أن تشعر بأن الناس يتقدون بها

وبقدرتها المهنية. إنها بحاجة إلى كل هذه الأشياء وأكثر، ولكنها لم تكن تريد أن تحصل عليها من هذا الرجل.  
منحته ابتسامة باردة متوتة، أخرى وهي تقول له بحدり: «كلا ليس ثمة ما احتاجه»، لقد فهمت تماماً ما كان يعنيه بذلك والذي هو ليس سوى قائمة بالملفات التي يريد لها أن تدرسها...  
لكنها لن تسأله أين توجد تلك الملفات...

يبدو أن القائمة كانت على مكتبه، وعندما فتح الباب الموصى بين مكتبيها لكي يحضرها، تملكتها الدهشة وهي ترى أن غرفة مكتبه ليست كما تصورتها على الإطلاق. كان الأثاث قديم الطراز نوعاً ما، وكان هناك كرسياً مريحاً على جانبي المدفأة. كما كان هناك مكتب اضافي أمام النافذة. أما الشيء الأكثر غرابة، فهو الصندوق الخشبي الكبير في الزاوية والمملوء من لعب الأطفال.

قال لها وهو يراها تنظر إلى الصندوق ذاك: «إنها أشياء مفيدة عندما تعامل مع حالة طلاق. إذ غالباً، إذا كانت المرأة هي موكلتي، غالباً ما تحضر معها أطفالها. وهكذا تلهيهم اللعب هذه».

أما الذي لم تره في غرفة مكتبه، فهي خزانة الملفات. ربما بإمكانها أن تسأل عنها مارغريت لويس عندما تراها أو ربما جيني موظفة الاستقبال.

كان الباب الموصى بين المكتبين ما يزال مفتوحاً. وتمتن شارلوت أغلقة، لكي تحجب نفسها عن ذلك الرجل الذي يعمل في المكتب الآخر... ذلك الرجل الذي بلغ من قلة ثقته بها وأن وضعها هنا تحت مراقبته ولكن حتى هذا الشيء

للبسيط، مثل إغلاق الباب لا يحق لها أن تقوم به. وجاءت المرارة في داخلها. فهي موظفة الآن خاضعة لرغبات وأوامر الآخرين.

وعند الساعة العاشرة والنصف، سمعت طرقاً على باب مكتبها الخارجي. وعندما نهضت لتفتحه، قدمت المرأة التي كانت تقف عند العتبة قدمت نفسها باسم مارغريت لويس.

كانت في الخمسينات من عمرها، طويلة القامة ذات شعر كث قوي وبتسامة دافئة.

لم يكن يبدو عليها أنها تشارك دانيال جفرسون في قلة ثقتها بكتابة شارلوت المهنية. وعندما رأقتها في الصعود إلى الطابق الأعلى، شعرت شارلوت ولأول مرة هذا الصباح، بشيء من الارتياح.

أثناء صعودهما، أخذت مارغريت تقول: «إننا هنا واحدة صغيرة متألقة. وأنا اعتقاد بأن سبب ذلك هو أن هذه الشركة قد انشأتها في الأصل امرأة».

«أمرأة؟» وتوقفت شارلوت على السلم تتحقق فيها.

فابتسمت مارغريت: «نعم، لقد ابتدأت ليديا جفرسون بمزاولة مهنة المحاماة هنا بعد تخرجها مباشرة، وذلك بعد أن لم تستطع الحصول على وظيفة في أي شركة للمحاماة. لقد كانت خطوة جريئة للغاية تقوم بها امرأة في تلك الأيام». فسألتها شارلوت: «ليديا جفرسون؟ لا بد أنها... هل

كانت من أقرباء دانيال جفرسون؟» «إنها عمّة والده. وعندما جئت أنا للعمل هنا، كانت هي قد تقاعدت عن العمل منذ سنوات. ولكنها كانت ما تزال تبدي

اهتمامًا قوياً بمهنة المحاماة. لقد كانت هي وDaniyal، متقاربين جداً، وعندما كان ما يزال تلميذاً صغيراً في المدرسة كانت تحضره معها أحياناً إلى هنا. لقد كانت لها موقف قوية مع حق المرأة في السيطرة على حياتها الخاصة. كما كانت بالغة الحماسة في الدفاع عن المظلومين. وDaniyal يشبهها كثيراً في هذا. أكثر من أبيه من هذه الناحية بكثير، والذي هو رغم لطفه البالغ، كان أقرب إلى نموذج محامي الأرياف.

كما كان Daniyal تلميضاً لاماً، ما جعل كثيراً من الناس يقولون أن عليه أن يدرس ليكون محامياً في المحاكم العليا، ولكنه كان مصمماً، على الدوام على أن يعمل في هذا المكان، متابعاً التقليد الذي أسلسته عمته».

«ولكن لا بد أنه بعد كل هذه الشهرة التي نالها بسبب قضية شركة الأدوية «فيتال» لا بد أن الطمع قد تملّكه لكي يستفيد من ذلك النجاح، ربما بنقل مكتبه للمحاماة إلى لندن؟»

هزت مارغريت رأسها وهي تقول بهدوء: «آه، كلا. Daniyal لا يمكن مطلقاً أن يفعل هذا».

قالت ذلك ببعدين وعقيدة وحنان ما جعل شارلوت تشعر بأن استياعها من Daniyal جفرسون يثور في داخلها. فالأمر ملائمة تماماً بالنسبة إليه، إذ أن كل شيء قدمن إليه على طبق. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يتخرج من الجامعة، ثم يدخل هذا العالم المرحيم الذي ينتظره هذا العالم الذي مهدته له إمرأة... إمرأة كانت بلغت من النجاح ما لم تبلغه هي، متغلبة على

القصيرة باستحسان، ولكن لم يظهر أحد آخر أوي عداء أو استياء نحوها.

وبعد أن أغلقت مارغريت باب المكتب، وعادت تقف على قمة السلم مع شارلوت، قالت: «إنهم فتية مجتهدون ولكنهم يميلون إلى المرح والمزاح أحياناً. إن دانيال يؤمن بأنهم يجب أن يمنحوا من المسؤوليات قدر ما يمكنهم حمله ولكن دون أن يثقلهم عبء ذلك، وأنا أعترف بأن هذه الوصفة قد نجحت. إن ما نفضل أن نقوم به هو أن نوجه الواحد منهم إلى قضية محددة، وبهذا يمكنه أن يرى الأمر بمجمله. وعندما تبدئين العمل في ملفات دانيال، ستجدين داخل الغلاف باسم المقرب الذي أعطي هذه القضية، وأي عمل تريدين أن تقومي به بشأنها، يمكنك أن تعطي التعليمات إلى المتدرب صاحب الشأن، مباشرة وإذا شئت يمكنك أن توجهه تعليماته من خلالي أنا. إنني أدرك أنك في خلال الأيام القليلة القادمة، إلى أن تألفي كل شيء، ستكلونين مرتبطة بمكتبك وبالملفات ولكن عندما تستقررين تماماً، سيكون من دواعي سروري أن تتناول الغداء معًا ذات يوم.» قالت شارلوت بحماسة صادقة: «نعم سيسيرني ذلك، ولكن هناك شيئاً يمكنك أن تساعديني فيه، وهو أين هو بالضبط مكان الملفات؟»

فابتسمت مارغريت لها: «تعالي معـي». وعندما عادت تهبط السلم إلى الطابق الأسفل، قالت لشارلوت ان ليديا جفرسون عندما قررت البدء بمناولة مهنة المحاماة، اشتربت هذا المنزل. وهي مارغريت مسرورة لحرص دانيال على أن يبقى كما كان في الأصل بدلاً من أن

موانع أعظم بكثير... وكانت شارلوت تذكر نفسها بذلك وقد تملكها الحزن وها تصلان إلى قمة السلم حيث فتحت مارغريت الباب.

في الداخل، كانت هناك قاعة واسعة مشتمسة قد جلس فيها ثمانية أشخاص خلف مكاتبهم. وكان أزيز أجهزة الكمبيوتر والمعدات الالكترونية يملاً جو القاعة، وعلى امتداد الجدران كانت هناك رفوف وضعت عليها رزم الأوراق وكذلك المذكرة القانونية مربوطة بشرائط وردية اللون.

كان من الواضح أن الناس الذين في الداخل كانوا مشغولين جداً ولكن مع ذلك كان الجو مريحاً سعيداً وكان ثمة شابة متكئة على كتف زميلها الفتى وهي تخفيه مازحة أثناء مساعدتها له بالنسبة إلى سؤال.

رأّت شارلوت في الموجودين حماسة وتالقاً في الأعين أنسابها بمقدار استمتاعهم بعملهم. كما كانت تحيط بهم حالة من اليقظة والتأهب.

أدركت على الفور، ودون أن تعرف أحداً منهم، أن هؤلاء المتدربين كانوا جميعاً ذوي إنجازات فائقة. فهم سريعون أذكياء، مجتهدون أكثر مما كانت هي نفسها ذات يوم، ولكن كان لديهم شيء أدركت أنهالم تعرفه فقط، فقد كانوا أخلياء البال من القلق واللهم الذين سموا حياتها وذلك منذ اللحظة التي افتتحت فيها مكتب المحاماة.

لم يبد عليهم أنهم يعرفون شيئاً عن تاريخها المهني وما رغبوا تقديمهم إليها، فقد كان تصرفهم بالغ الحرارة. واحد أو اثنان من الفتيات أخذوا ينظران إلى تورتها

يتحول إلى مكان عصري لا روح فيه خلف واجهة كلاسيكية. وعندما وقفتا عند قمة السلم الثاني، قالت شارلوت: «ها هي هنا». ثم فتحت باباً يؤدي إلى غرفة صغيرة مستطيلة الشكل، جدرانها مطبنة بروفوف مليئة بالملفات. «الملفات المنتهية موجودة في القبو. أما هنا فيوجد ملفات القضايا الجارية. وإذا أردت أن تعرفي شيئاً، أو إذا احتجت أي شيء، فاتصل بي هاتفياً أو اصعد لي روبيتي». شكرتها شارلوت وهي تعود إلى مكتبتها، على الأقل لم تكن مارغريت عادئية نحوها، ولكن ربما هذا لأنها لم تعرف بعد الحقيقة عنها.

ما أن أصبحت شارلوت داخل مكتبة حتى سمعت دانيال يناديها.

«هل يمكنك أن تأتي إلى مكتبي للحظة واحدة من فضلك يا شارلوت؟»

ففجعت كارهة.

كان جالساً خلف مكتبه، وأثناء وقوفها أمامه وهي تتنفس بالغيظ والتعاسة، كان الألم يمتلكها للتناقض الذي بينهما. رفع بصره إليها باسماً كانت باسمة يسعتملها دون شك على شاشة التلفزيون للتاثير على المشاهدين، كما أخذت تفكير. ما أشد بياض استانه... واستقامتها... ولكنها ما لبثت أن لاحظت أن إحدى ثنياه الامامية كانت مشروحة قليلاً. ومن الغريب أن ذلك بعث في نفسها شيئاً من البهجة.

قال لها: «هنا اضافة إلى قائمة الملفات أريد منك أن تتalkفي معها».

عندما اقتربت منه لتناول منه القائمة، استطاعت أن تشم

رائحة خفيفة منه، لم يكن يضع أي نوع من محاليل بعد الحلاقة العطرية، وإنما كانت مجرد رائحة الصابون. وعانت ذلك أن أحد الأشياء التي لم تكن تهتم بأمرها كلها بالنسبة إلى بيفان، كان إنما على استعمال عطور رجالية قوية الرائحة. ولم يفلح كل ما قالته له، في اقناعه بأنها تجد ذلك مخدداً للمشاعر أكثر منه مثيراً لها.

سمعت دانيال يقول لها: «اسكب لنفسك فنجان قهوة ثم جرئي كرسيأً اجلسى عليه. إننى ساعطيك خلاصة مختصرة لكل من هذه القضايا، وبعد ذلك أريدك أن ترأى الملفات ثم تعطيني رأيك المعنوى في نقاط الضعف والقوة في كل منها».

من حسن الحظ أن ظهرها كان إليه عندما كان يتكلم، ذلك لأنها كانت قد استدارت لترى أين هي القهوة التي يخبرها عنها. كان هناك إبراء قهوة وسخان بجانب صندوق الألعاب وكذلك صينية عليها فناجين وكل ما يلزم. وعندما أخذت تنظر إلى هذا، شعرت بظهورها يتصلب. يالغرور هذا الرجل وثار غضبها وهي تسكب لنفسها شيئاً من القهوة. ما الذي يحاول أن يقوم به، يختبرها؟ وكأنها طفلة تتعلم الهجاء، ثم أعقب هذه الفكرة الغاضبة، فكرة أخرى أكثر ازعاجاً. ماذما لو كان هذا نوعاً من الاختبار، وإذا فشلت... إذا كان حكمها على قضاياه لا ينقي بالضبط مع حكمه أثره سيتخذ هذا دليلاً على عجزها ويطردتها من العمل.

ارتجمت قليلاً وهي تصف السكر إلى القهوة، وصورة ذهنية حديثة لآخر بيان من حسابها في المصرف تنكر بمبلغ أهمية الاحتياط بهذه الوظيفة. فالاجر ممتاز ثم هي

كان صوتها وهي تتكلم مختصراً سريعاً، ورأته يرمقها بنظرة مفكرة، فاحمر وجهها قليلاً، ما ملأها بالغيط. كانت قد أحضرت بعض الشطائير لغدائها. كانت تعرف المدينة جيداً، وتعرف مكاناً قرب النهر يمكنها أن توقف فيه سيارتها وكانت مصممة، منذ البداية، على تناول غدائها هناك.

على كل حال، كان النهار غائماً بارداً، ما جعلها تعرف بأن من الأفضل لها تناول الغداء في غرفة الموظفين. وتأثرت عندما عادت إلى هناك فوجدت جيني في انتظارها وقالت هذه تخاطبها باسمة: «إن الشخص الجديد في المكان يسافر بالارتباك، ولهذا جئت لأرى إن كنت تريدين مني مرافقتك إلى الطابق الأعلى لتناول الغداء». «شكراً لقد كنت أحضرت معي بعض الشطائير، مصممة على أن اتناولها بجانب النهر، ولكن الجو بارد نوعاً ما». وعندما كانتا تسيران معاً في الممر، قابلتهما امرأة وكانت قائمة من الناحية الأخرى.

كانت أطول قامة من شارلوت بكثير والتي كانت لا تتجاوز المئة وثمانية وخمسين سنتيمتراً. وكان شعرها مقصوصاً ومصفقاً بطراز مثير، ما يشير إلى أنها دائمة الزيارة إلى مزينة الشعر. كما كان تبرجها كاملاً أو لعله كان مفرطاً به بالنسبة إلى ذوق شارلوت. وكانت باللغة الأنثقة كما كانت تفزع في أصبعها خاتماً ماسياً ملفتاً للنظر. ألمت على المرأتين نظرة باردة حادة، ثم قالت لجيني ببرودة: «إن مكتب الاستقبال خالٍ. وأنا واثقة من أن دانيال

قريبة من بيتها. ومهما كان اعتمادها هذا على والديها يجرح كرامتها، فلم يكن بإمكانها الهرب من الواقع الذي هو أنها طالما تسدد بينها للبنك، فلن يكون بإمكانها أن تدفع إيجاراً.

وهكذا استدارت عائنة إلى المكتب جامدة الملامح. عندما جلسـتـ، أخذت تلاحظ بضيق كيف ارتفعت تنورتها القصيرة عن فخذيها، ولكن عندما نظرت خلسة إلى دانيال، وجدهـ يـنظـرـ فيـ بعضـ الأوراقـ عـلـىـ مـكـتبـهـ. عندما أخذت تستمع إليه وهو يصف لها كلـاـ منـ القضايا الموجودة على القائمة، اضطـرـتـ إـلـىـ الـاعـتـرـافـ بـأنـ إـمـالـيـهـ ذـاكـرـةـ قـوـيـةـ تـسـاعـدـ عـلـىـ إـلـاـدـلـاءـ بـكـلـ هـذـهـ التـفـاصـيلـ،ـ وإـيـامـ أـنـ قدـ درـسـ بـعـمقـ كـلـ قـضـيـةـ مـوـجـودـةـ أـمـامـهـ.

فضلت أن تظن أن التخمين الأول هو الصحيح، فهذا ما كانت تتوقعه من رجل احتفت به الصحافة بتلك الشكل. ولكن النزاهة ارغمتها على الاعتراف بأن التخمين الثاني قد يكون هو الصحيح. ولكن كونه محاميًّا جيداً لا يعني بالضرورة أنه إنسان جيد. وقلبت شفتتها عابسة.

في الساعة الواحدة إلا خمس دقائق، لم يكـونـاـ وـصـلـاـ إلىـ نـصـفـ القـائـمـةـ بـعـدـ،ـ فـسـكـتـ وـقـالـ لهاـ:ـ «ـأـظـنـ هـذـاـ يـكـفـيـ بـالـنـسـبـةـ لـهـذـهـ جـلـسـةـ،ـ إـنـ لـدـيـ موـعـدـ عملـ اـثنـاءـ الغـداءـ وـلـاـ اـظـنـ بـإـمـكـانـيـ العـودـةـ قـبـلـ الثـالـثـةـ.ـ وـلـهـذـاـ اـظـنـ مـنـ الـأـفـضـلـ تـركـ الـبـقـيـةـ إـلـىـ الـغـدـرـ.ـ أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـغـداءـ فـلـدـيـنـاـ غـرـفـةـ الـمـوـظـفـينـ فـيـ الطـابـقـ الـأـعـلـىـ،ـ هـذـاـ إـذـالـمـ يـكـنـ لـدـيـكـ تـرـتـيـبـاتـ أـخـرىـ.ـ»ـ

«نعم، شكرأً لقد سبق وأخبرتني جيني بذلك.»

وفاة زوجها، هي أكثر كثيراً من حاجة زوجها لذلك أثناء حياته».

وإذ ألقت شارلوت نظرة من النافذة إلى الخارج، رأت سيارة رولزرويس فخمة واقفة أمام المبني. وكان السائق يفتح الباب لباتريشيا وينترز التي كانت تخطو إلى داخلها، بينما دانيال يقف بجانبها. إذن، فهذا كان موعد العمل الذي تحدث عنه.

مهما كان المكان الذي سيدهبان إليه، فهما لن يأكلا الشطائر بطبيعة الحال، إلا إذا كانت شطائر محسوبة بالكافيار والسليمون المدخن... وذلك، دون شك، في منزل باتريشيا البادخ المترف.

وتجاه عبست شارلوت وأحمر وجهها إذ ادركت إلى أين اتجهت بها افكارها. ذلك أنه مهما كان رأيها في دانيال جفرسون، فليس لها الحق في أن تسمح لمخيلتها بأن تخرج عن حدود التهذيب بشأنه.

*His coming*

*Nour*

لا يعجبه ذلك.» ثم نظرت إلى شارلوت، وقصد نظراتها قليلاً وهي تتسمى على طقها بتورته القصيرة، كما زمت شفتها، ومع أنها لم تقل شيئاً، إلا أن شارلوت أدركت أن المرأة هذه اهتمت كثيراً بمظهرها.

وما أن توارت في مكتب دانيال، حتى همست جيني تقول: «إنها السيدة باتريشيا وينترز، ارملة بول وينترز.» ثم تابعت ضاحكة وهي ترى عدم الفهم على وجه شارلوت. «كان رجلًا ثرياً واسع الأموال، وقد تزوجته عندما كان في الستين بينما كانت هي في الثالثة والعشرين. لقد توفي الآن، وتقول الشائعات أنها تبحث عن زوج آخر، وهذه المرة سيكون شاباً وسيماً، مسكون دانيال إنها يأكلون في قاعة المؤلفين أن من المؤسف أن المحامين غير محظيين من زيوناتهم كما هو الحال بالنسبة إلى الأطباء.»

قالت شارلوت: «ربما هو لا يريد الحماية.» فقد بدا لها، في الواقع أن باتريشيا وينترز تشكل زوجة مثالية لرجل مثل دانيال جفرسون.

قالت جيني متحججة: «آه، كلا لا يمكن له أن يتزوجها فهو أرق وأكثر لطفاً منها بكثير..»

ما الذي كان هذا الرجل يدير هنا، مكتب محامية أم نادياً للمعجبين؟ أخذت تتساءل شارلوت بهذا متهكمة. حسناً، إنها لن تتحقق بهذا النادي بكل تأكيد قد يظن الآخرون انه رائغ، ولكنها هي لن تظن ذلك على الاطلاق.

قالت وهي تصعد السلالم مع جيني: «أليسست السيدة وينترز زيونة؟»

«نعم، ولكن حاجتها إلى نصائح دانيال القانونية، منذ

الصبر، اخذت تميل نحو الملفات قدر امكانها، وهي تشتم تنوتها التي ازدادت ارتفاعاً والتصاصاً بفخذنها لتعيقها عن الحركة.

كان الملف قريباً من يدها بحيث بإمكانها ان تصل إليه لو انها فقط تزيد من مد نراعها اليه بضعة سنتيمترات بدلاً من عناء النزول عن السلم ثم نقله إلى المكان المناسب والعودة إلى ارتقائه مرة أخرى.

حبست انفاسها، ثم مد نراعها إلى أقصى مدى تستطيعه ونزلت إلى الملف المطلوب.

«أي شئ في هذه»  
وإذ اغلقت وهي تسمع فجأة صوت دانيال جفرسون يهتف بها، التفت دون وعي، تواجهه، ناسية وقوتها المزعزعة على السلم، وما ان التفت حتى شعرت به يهتز تحتها، فأدركت انها على وشك السقوط.

ولكن هذا لم يحدث إذ انها بدلاً من أن تجد نفسها كومة حقيقة على الأرض عند قدمي دانيال، وجدت نفسها في موقف يماثل ذلك حقارة إذ كان يمسك بها بذراعيه اللذين مدهما ليمسك بها قبل ان تسقط.

عدة حقائق اوجعلتها في نفس الوقت، الأولى انها اظهرت نفسها حمقاء تماماً، ما لا بد انه أثبت رأيه فيها وهو أنها ليست النوع الذي يريده من الموظفين، ثانية أنها أثناء سقوطها لا بد ان يدها اصطدمت ببعض الملفات، ما جعل اوراقها تسقط متناثرة على الأرض، بينما السلم يتربع وهو مسنود إلى الرف، وثالثاً وهو الأسوأ هو حمل دانيال لها بهذا الشكل الذي اشعرها بالخزي.

### الفصل الثالث

كان أحد الملفات التي طلب منها دانيال دراستها، تأتي تحت رقم (أ)، ولوت شارلوت شفتيها وهي تنظر إلى الرف الأعلى، والذي يرتفع عدة أقدام عن متناولها، ولكنها ما ان اخذت تسأله عما يمكنها ان تفعل لتصل اليه، حتى لمحت سلماً متغولاً في زاوية من المكان.

كان مصنوعاً من معدن الالمينيوم الخفيف والنحيل الذي يسهل عليها حمله ونقله، وإذ كانت متأنقة إلى البدء بالعمل، أسرعت ترقى درجاته، ولكنها ما لبثت ان اخذت تشتم نفسها وهي تدرك حماقتها في ارتقائه بكمب حذائثها العالي وتنورتها القصيرة، ثم ان عليها لكي تصل إلى ما تريد، ان تقف على أعلى درجة من السلم بحيث لن يكون هناك سوى الرف تتمسك به.

وامتلاً ذهنها بصورة مخيفة للرف والسلم والملفات كل ذلك ينهار بينما هي متعلقة به، ما جعلها توازن نفسها بحذرقدر امكانها دون ان تستند إليه.

وإذ اخذت تبحث بسرعة على الرف عن الملف الذي تريده، أدركت انها وضع السلم أقرب إلى الرقم (أ.م) منه إلى الرقم (أ.ن) الذي كانت بحاجة إليه.

كيف تريده ان يقع بها بينما ها هي ذي الآن لا تستطيع ان تقوم بمثل هذا العمل السهل وهو إنزال ملفات قليلة؟ وإذا تملكتها الغيظ من نفسها، إلى عدم

وسمعته يقول لها وكأنها بحاجة إلى من يخبرها: «لا بأس، فقد تلقيك بين يدي». أغمضت عينيها شاعرة بدور مفاجيء ودانيل ينزلها إلى الأرض. وعندما لمست قدمها الأرض أخيراً، سمعتة يسألها: «هل أنت واثقة من أنك بخير؟ كان من الممكن أن يكون هذا الحادث سيئاً للغاية، ما الذي كنت تفعلينه على كل حال؟» حيث انه تركها الآن ووقف بعيداً عنها ليتمكن من النظر إليها، تملكتها شعور بالغ بالارتباك والغيط، عدا عن الصدمة، فقالت تجبيه متوجهة للقسم الأول من سؤاله: «كان ما أفعله واضحأ، فقد كنت لاحول الحصول على الملف». وأحرم وجهها عندما نظر إلى السلم المسند إلى الرفوف. «نعم، ولكن ما كان لك ان تستعملي هذا السلم، لماذا لم تستعملي السلم الآخر وهو المخصص للرقوف العلوي؟» دانيال يمر بها نحو الباب فيغلقه ليりيها سليمين من الأمينيوم خلفه.

«هذا النوع من السلالم له حاجز يمنع نوع هذا الحادث الذي تعرضت له لتوك.» بعد أن ابتلعت شارلوت ما تملكتها من غضب ومنلة، تمنت لو تستطيع أن تقول له انه لو لم يفاجئها بالحديث إليها ما جعلها تعقل، لما تعرضت لهذا الحادث. قال لها وهو يقلب شفتيه: «على كل حال، فهذا المكان هو لتدريب المحامين، لا تظنن اننا ندرك جيداً الأخطار التي يتعرض لها الموظفون عندنا أثناء العمل، والتي تجعلهم يحكمون إلى القضاء؟»

كانت الغرفة باللغة الصغر، بينما هو باللغة الطول، والضخامة ما جعلها تشعر فجأة بان الهواء غير كاف ما وجدت معه ان من الصعب عليها ان تنفس، وكانت واعية إلى ان دانيال يراقبها... كانت تشعر بالدوار... لا بد انها ستجن.. لا بد ان ذلك بسبب قلة الهواء في الغرفة.. والشعور بالصدمة إزاء هذا الحادث الذي أوشك ان يحدث لها، وترنحت بيته على قدميها وهي تستمع دانيال يسألها مرة أخرى: «هل انت واثقة من انك بخير؟» فتحت فمها لتتكلم، ولكن الكلمات تجمدت على شفتيها وهي تسمع يقول شيئاً لم تفهمه، وعندما نظرت إليه كانت عيناه رماديتين قاتمتين متالقتين، لا بد انه ذو قدرة مغناطيسية، فكرت في ذلك وشعورها بالدوار يزداد بينما تحاول ان تحول نظراتها عنه فلا تستطيع، لا عجب في انه حبيب الصحافة، وربما كان ينوم مشاهديه على شاشة التلفزيون بنفس الطريقة التي يتونم بها الان. وإذ شعرت بالغبطة من نفسها الضغفها هذا، أغمضت عينيها والتقت إلى جانب محاولة ان تنفس بعمق لتهيئة نفسها. وعندما عادت تفتح عينيها لم تشعر بأي تحسن، ولكنها على كل حال لم تكن تنظر إليه مباشرة. قالت له باختصار: «أنتي بخير تماماً». وعندما اتجهت نحو الباب، وجدت نفسها تقول له وهي تصرف بأسنانها: «من الأسف انك استطعت ان تمسك بي، فلو انك لم تقلل ووقيت انا عليك، وسببيت لك اصابة ما، لكان بإمكانك ان ترفع على دعوى قضائية». 

دهشت وهي تراه يضحك، وازدادت دهشتها وهو يقول: «لو كانت ليديا حية لأحبتك جداً».

كانت قد وضعت يدها على مقبض الباب عندما أمسك بيدها يمنعها بلطف من الخروج، فنظرت اليه بارتياح وغضب وهي تقول: «لا أدرى ما الذي تقصده بعملك هذا». كان مايال يبتسم لها، ولكن ابتسامته بريتة قليلاً وهي يقول: «أظنك ربما تريدين أن تسوئي من تورتك قبل ان تخргي».

سار خارجاً من الباب ثم أغلقه خلفه تاركاً إياها في تلك الغرفة الصغيرة وقد التهب وجهها وهي تنتظر إلى حالة تنورتها من التكرش والتجمد ومبلاً بما يدور من فخيمها، أو شكت على البكاء وهي تشد تنورتها إلى أسفل، ثم خافت في تنظيم الفوضى التي انتشرت على الأرض.

تبأله... تبأله... كل هذا بسببه.. لو انه لم يجلها.. مضت نحو نصف ساعة قبل ان تستطع جمع بقية الملفات. وعندما



عادت إلى مكتبه غاص قلبها وهي ترى الباب الذي يصل بين مكتبه ومكتب دانيال مفتوحاً.

كان عند دخولها، يتكلم في الهاتف، وعندما وصلت إلى مكتبه رأت على مكتبه لفافة مفتوحة تحتوي على شطائير، كان قد انتهى من حديثه فوضع السماعة والتفت إليها يسألها:

«إذن فقد حصلت على بقية الملفات دون أية مشاكل؟» كان واضحاً من قوله ببرودة بالغة: «نعم، شكراً». ان آخر شيء تريده هو التحدث اليه، ولكن يبدو انه لم يتبه إلى ذلك وهو يضيف قائلاً: «أنتي احاول ان أكل شيئاً، إذ لم يكن لدى وقت أتغدى فيه».

وإذ أدانت شارلوت ظهر هاله كان وجهها يلتهب سخطاً،

اتراه يقلن حقاً أنها تهم بالطريقة التي أمضى بها مع زبنته تلك ساعة الغداء؟ وساورتها رغبة في ان تدللي بتعليق ساخر، ولكنها عادت فنكرت نفسها في الوقت المناسب بأنها مجرد موظفة، وموظفة متثبتة بوظيفتها إلى أقصى حد.

مضت بقية العصر تقرأ أول الملفات، وشعرت بالارتياح عندما اغلق دانيال الباب بينهما وذلك في الساعة الثالثة والنصف، قائلاً ان لديه مقابلة مع زبون.

«فيما بعد، عندما تألفين مع محتويات الملفات، ساتوق عنك طبعاً ان تحضري هذه المقابلات».

تحضر مقابلات، ولكن ليس لها أن تجري مقابلات بنفسها... كان هذا ما خذله تذكر فيه بحدق عندما اغلق الباب، ان ذلك دليل آخر على مبلغ قلة ثقته بصحة حكمها المهني، وعند الساعة الرابعة فتح باب مكتبها ودخل ريتشارد هوروش وهو يقول بابتسامة أبوية: «اذني آسف لعدم وجودي هنا للترحيب بك هذا الصباح، كنت في المحكمة، لسوء الحظ، ولكنني واثق من استقرارك الآن بشكل جيد». «نعم... نعم، شكراً، انتي.. لم اكن ادرك انتي ساقوم بالعمل عند السيد جفرسون فقط».

رفع ريتشارد حاجبيه قليلاً للهجة الرسمية في إشارتها إلى دانيال بلقب سيد، ولكن شارلوت لاحظت ان شيئاً من الضيق ظهر عليه وهو يقول: «نعم، حسناً...انا.. الأمر هو.. حيث ان أعباء عمله في ازدياد، فقد شعرنا معاً ان دانيال بحاجة إلى مساعدة مؤهلة».

كان الأمر كما ظنت تماماً، وهو ان القرار في ان تكون مساعدة لDaniyal جفرسون قد اتخذ فقط عندما رأى دانيال

شهاداتها فقرر انها ليست موضع ثقة لكي يسمحوا لها بالعمل بمفردها.

أرادت ان تتحجج قائلة انها محامية مؤهلة، وليس طفلة بحاجة إلى رقابة مستمرة، ولكنها جاهدت في كبح العراره والاستياء اللذين كانا يغلبان داخلها، مذكرة نفسها بمبلغ حاجتها إلى هذه الوظيفة.

ما كانت تمضي عشر دقائق على مغادرة ريتشارد لمكتبه، حتى سمعت طرقاً على بابها.

كانت المرأة التي دخلت جميلة وفي آخر شهور الحمل، وابتسمت لشارلوت وهي تقدم نفسها: «أنا نان، سكرتيرة دانيال، وسكرتيرتك طبعاً، ان لدى موعداً في العيادة هذا الصباح، كم سيسيبني ان يقرر الولد الحضور أخيراً» واخذت تربت على بطنهما مكشراً.

سألتها شارلوت: «هل هو طفلك الأول؟» دهشت وآن تهز رأسها، قائلة: «كلا، فلدينا جيريمي وهو في الرابعة من عمره، ان زوجي بيتر يعمل من البيت، وعندما ولدت جيريمي، قررت ان أبقى معه في البيت، ولكن وجود بيتر أيضاً... حسناً احياناً يتملکني الخوف من الأماكن المغلقة، وبعد ان أنجبر هذا ساعود حتماً إلى العمل بعد انتهاءي من إجازة الولادة، ليس السبب هو رغبتي في المال فقط، او ان بيتر ليس كريماً علي، ولكن ما يدفعه إلى الرضا ان يكون لدى بعض الاستقلال المادي، ولكن الأهم من ذلك كله هو الاتصال بالآخرين، ولكن علي ان أقول ان العمل مع شخص مثل دانيال جقوسون يسهل كل الأمور، فهو متفهم جداً، يهتم جداً بموظفيه».

قالت شارلوت: «اظن ان هذا واجبه، أليس كذلك؟» ولكنها ما لبثت ان عضت شفتها عندما أدركت ان تعليقها اللاذع هذا جعل آن تنظر إليها بشيء من الارتياح، فاضافت بلهجة مرددة: «حسناً، أليس عليه ان يهتم بسمعته الصحفية؟ عندما تسلط الأضواء على شخص ما..»

قالت لها آن بحزن: «كلا، ان دانيال ليس من هذا النوع من الناس، كلا، انه فقط بهذه الصفات، فهو يعتقد ان الناس السعداء يملكون بشكل افضل كثيراً من غير السعداء، واظنه على حق..»

أرغمت شارلوت نفسها على الابتسام، ولكنها أخذت تصرّف باسلوبها عندما غادرت آن المكتب.

ما الذي في هذا الرجل يجعل الناس يهتمون به؟ لا بد انه نوّهم مغناطيسيًا، حسناً، من المؤكد انها لن تتضمن إلى هؤلاء المعجبين الشغوفين به، أخذت توكل ذلك لنفسها بوحشية وهي تتناول ملفاً آخر، قد يكون بإمكانه ان يخدع كل شخص آخر ولكنه لن يتمكن من خداعها.

كان الملف الذي كانت تدرس يتضمن حالة صعبة معقدة، وكانت من الاستغراف في دراسته إلى حد جاءت الساعة الخامسة معه وذهبت دون ان تنتبه هي إلى ذلك.

كانت في الواقع غير واعية إلى أي حركة تحدث حولها إلى ان فتح دانيال الباب الموصل بين المكتب ودخل فوق بجانبها ينظر إلى الملف الذي كانت تقرأ فيه وهو يقول: «اما زلت تعليمي؟ حسناً، انها قضية معقدة، أليس كذلك؟ انتي لا ادرى كيف سيكون حل هذه المسالة، هناك مطالبة قانونية بالتعويض، ولكن إلى أي حد سيتأثر هذا بالاهمال الذي مضى

بشيء من الاكتئاب، وفي ظروف غير هذه ربما كانت تظن أنها خيّبت أمله من ناحية ما.

\*\*\*

بعد ذلك بثلاثة أرباع الساعة، كان الغضب ما يزال يفوح في اعماقها، وذلك عندما أوقفت سيارتها أمام منزل والديها، ما الذي يجعلها تستغل عند شخص مثله؟ شخص بهذه الكفاءة، على الأقل كما يقول كل من يعرفه؟ ألم يحدث ان اخطأ هذا الرجل ولو مرة في حياته؟ لم يرتكب أي غلطة؟.. حتى لا تذهب؟

ولكن... كان ذلك مهلاً عليه، فهو قد دخل بعد تخرجه مباشرة إلى مكتب محاماة جاوز حسن التأسيس، مترأساً المكان بحق الولادة، وليس استحقاقاً منه لذلك، ثم عندما ينبع في قضية شركة الأدوية فيتال بمثيل ذلك الشكل المثير...  
وعندما سارت إلى البيت أخذ ضميرها يوبّنها، منكراً إياها بالمشقة التي لا بد عاناهما في تلك القضية، وكم مكتب محاماة قد رفض أخذ هذه القضية قبل أن يتوجه الضحايا إليه أخيراً.

لكنها أخذت تحدث نفسها بغيظ بأنه الحظ وهذا كل شيء. الحظ فقط، ولكنها كانت تعلم بأنها غير عادلة في حكمها لهذا، حسناً ولماذا لا؟ فهو أيضاً ملِمَ يكن عادلاً بالنسبة إليها، لقد كان كل شيء حسناً بالنسبة إليه، ليس لديه فكرة عن شعور الشخص عندما يفشل... وعن اضطراره إلى حمل عبء ذلك الفشل. بادرتها والدتها بالقول وهذه تدخل المطبع: «حسناً، كيف كانت الأمور معك؟»

على الأمر؟ هذا ما يصعب تحديده. ثم قال برقة: «الساعة السادسة الآن، ونحن لا نعمل هنا عدد ساعات لندن.»

فقالت: «ولتكن ما زلت هنا.» أليس بإمكانها ان تقوم بعمل صائب؟ حتى أنها لم تكن تعلم كم أصبح الوقت.  
«إن لدى عملاً هاماً يستدعي السرعة.» وسكت فتلاقت نظراتهما لحظة شعرت شارلوت بعدها بصعوبة في التنفس ودوران في رأسها.

ثم قال دانيال بهدوء: «أنتي اعلم ان هذا ليس سهلاً عليك، إذ واضح من شهادتك...»  
وفجأة، تلاشت صعوبة التنفس لديها، وعادت إلى إدراك مدى الفرق بين وضعيهما، فقالت تحمل كلامة بحدة وألم: « واضح انتي فاشلة، نعم انتي لم انس هذا، ولكن لا تخف من ان تلوثي عفوننة ذلك الفشل فتؤثر على اعمالك، وعلى كل حال لا بد انك قمت بالاحتياطات اللازمة لكي تتفادى هذا أليس كذلك؟»

أغلقت الملف اثناء كلامها، ثم نهضت واقفة وهي تقول باختصار: «انه وقت ذهابي..»  
كانت في منتصف الطريق إلى الباب، عندما سمعت صوته يقول: «شارلوت اظلن علينا ان نتحدث...»

فاستدارت تواجهه، غير واعية إلى مقدار الألم الذي كان يفيض من عينيهما: «أحقاً تريدين ذلك؟ حسناً،انا لا أريد، كل ما أريده هو ان أقوم بعملي، ولا شيء غير هذا، الماضي ما يضي أنا، ليس من شأنك أو من شأن أي أحد آخر.  
«كلا، كلا... طبعاً لا.»

كان فمه قد ارتجف قليلاً، كما لا حظت، وكان ينظر إليها

تبأً لكل ذلك، ما الذي جعلها تقتعن بشراء هذا؟ هو وكل بقية ملابسها المعلقة في الخزانة، ونفخت من فمها ساخطة وهي ترتدي بنطلون جينز وكنزة جميلة فضفاضة، لم تجرؤ على ان تخبر والدتها بمبلغ ما شعرت به من ضيق بهذا الثوب القصير، وإلا فهي تعلم ما سيحدث، ان والدتها ستصر على شراء بعض الملابس الجديدة لها، بينما هي لن تسمح لها بذلك، فهي مدينة لو ولديها بما يكفي حتى الآن.

كان لدى والدما وظيفة حسنة، ولكنه مقاعد الآخر صحيح انهم مرتاحان مادياً إلى حد معقول، ولكنهما غير غنيين ويجاذب تلك الفتاة لا تريد ان تكون معتمدة عليهما. لكنها مع ذلك معتمدة عليهم فعلاً... تماماً كما انها معتمدة على دانيال جفرسون... أو بالأحرى على وظيفته. كانت قد احضرت معها ملفين ناويه قضاة المساء في دراستهما، انها ستثبت له كفاءتها لهذه الوظيفة مهما كلفها الأمر، هذا رغم انه من غير المحتمل ان تقوم بأي عمل إذا كانت سارا قائمة هذه الليلة.

وابتسمت بأسى، فهي وشقيقتها منسجمتان على الدوام، وذلك بالرغم من الاختلاف في طريقة حياتيهما، فقد كانت سارا سعيدة مرتاحه في حياتها الزوجية ولديها ولدان، وكما طالما قالت لشارلوت، هذه الحياة هي التي تحبها كما انها تتلاعム مع رغبة زوجها في ان تبقى في البيت مع الطفلين حيث انه مرتاح مادياً وقدر على إعالة الأسرة. كانت تحب الحياة المنزليه، فهي تحب ان تصنع المربى في بيتها، وان تعتنى بحقيقة خضرواتها الصغيرة... تحب قضاء الوقت مع طفلتها وان تراقب نموها وتطورها، كما

فهزت شارلوت رأسها: «لا تتسائل».

سألتها والدتها بقلق: «لماذا؟ مازا حدث؟»

فقالت شارلوت بسرعة: «بيدو انه لا يثق بي وهذا هو السبب في إصراراه على ابقائي تحت نظره، بيدو انه ألقى نظرة واحدة على شهاداتي، ثم قرر أن ليس ثمة طريقة تجعله يثق بي لمعالجة القضية بمفردي، واظن هذا هو فقط ما أستحقه...»

«آه، كلا، يا شارلوت، انتي واثقة من انك مخطئة، على العكس، اظن فكرته عنك جيدة جداً بحيث أرادك ان تستقللي معه شخصياً».

رمقت شارلوت والدتها بنظرة ساخرة: «وكيف تكون فكرته عنني جيدة جداً؟ كلا، من الواضح انه استاء من اعطاء شريكه هروبيش الوظيفة لي، فصمم على ان يجعلني اعلم انه لا يثق بي، ربما هو يخاف من ان ألوث مكتبه الغالي بفشلني إذا هم تركوني اقوم بأي عمل بمفردي».

فقالت الوالدة محتجة: «آه، يا شارلوت، ما الذي حدث لك؟ لم تتعودي ان تكوني بهذا الشكل، فأنت تبددين في غاية.. غاية المرارة».

غضبت شارلوت شفتها بشدة: «انتي آسفة، يا والدتي... كل ما في الأمر...»

فقطاعتها والدتها وهي تربت على يدها: «لا بأس، انتي متفهمة، وبالمناسبة انتا نحن الاثنين، سنتعشى وحدنا هذه الليلة ان والدك سياكل في النادي... كما ان سارا استاتي اليها فيما بعد».

«انتي صاعدة إلى غرفتي لأغير ثوبي هذا».

انها كانت تساعد في درستهما، إذ تمنحها من وقتها عدة ايام شهرياً ترافق اثناءها بعض الصفوف في رحلات التلامذة المختلفة، قد لا تعتبر سارا انفسها امرأة عاملة، ولكن شارلوت كانت تعلم انها تعمل كثيرة في الواقع، وانها تتصف بالتكيف والذكاء البالغين.

كانت سارا احد الاشخاص القلائل الذين بإمكانها ان تكشف عن مشاعرها لهم بصدق تام، وذلك بالنسبة إلى قائلتها في عملها وقد ساورها الظن، وهي تساعد والدتها في اعداد العشاء، بأن سارا ستقوم بهذه الزيارة متعددة وذلك لكي ترى ما فعلته في يومها الأول في العمل، وصلت سارا بعد حوالى ساعة من انتهاء العمل، وحين كانت

شارلوت في غرفتها وقد أخرجت محتويات خزانة ثيابها ونشرتها على السرير، محاولة ان تجد شيئاً مناسباً لترتديه يكون مريحاً اكثر من ثوب هذا النهار، وأقل لفتاً للأنظار.

نظرت شقيقتها إلى هذه الملابس ثم سألتها بعجب: «ما الذي تفعلين؟»

أجبت شارلوت: «انني احاول ان اجد شيئاً مناسباً ارتديه للعمل..»

كان في صوتها من القنوط، ما جعل سارا تقطب جبينها على الفور، وهي تزير بعض الملابس جانباً لتجلس على جانب السرير، ثم سألتها: «ما الذي حدث يا شارلوت؟ ما هي الحقيقة؟ هل هو بيكان؟»

فهزت شارلوت رأسها: «كلا، فقد ادركت منذ أسابيع انتي لم أكن أحب بيكان، في الحقيقة كنت ألهو معه فقط، انتي أشعر بالغضب من نفسك لافتاتي به... والسماح له بتوجيهه

حياتي إلى ذلك الحد، لكنني اخذت درساً، من الآن فصاعداً أنا وحدي التي ساقرر أي شيء في حياتي، كم اشعر بالذنب، يا سارا، لقد خبيت آمال والدتي والدبي، و...» «هذا يكفي ما هذا؟ لا احد سواك يأخذ الأمور بهذا الشكل، ليس لديك ما تشعرين بالذنب لأجله، يا شارلوت، اسمعي ان زوجي توني سيغيب عن البيت عدة أيام في رحلة عمل، لاماذا لا اضع الطفلين في منزل والدinya هذا، ثم نخرج أنا وانت معاً لقضاء سهرة في المدينة؟ حسناً، ستدبر إلى مطعم ايطالي، هناك مطعم جديد افتتح حديثاً، ويقولون انه جيد جداً، عندما رأيت شقيقتي تبدأ بالعبوس، قالت تعنها: «هيا، انها سهرة سعيدنا انحن الانثنين».

والتقطت ثوبها من على السرير، ثم نظرت إليه بأسى، وهي تقول: «آه، يا ليتني كنت بقياسك، هل هذا مفروض فيه ان يكون ثوباً حقاً؟»

فقالت شارلوت لاوية شفتيها: «نعم، انه ثوب..» ضحكت سارا: «حسناً، انه مثير بكل تأكيد... ارتديه عندما نذهب معًا للعشاء، عند ذلك يمكنني ان استمتع بانعكاس نظارات الاعجاب التي سيرمقك بها الندل، ان الإيطاليين يحبون الاجسام الأنوثية..»

وضحكت لما بدا من تعبير على ملامح شارلوت، وسألتها: «ما رأيك؟ هل نخرج معًا؟» «لا بأس في ذلك..»

«هذا عظيم، سأجعز المائدة إدن، على كل حال، اخبريني الآن كل شيء عن وظيفتك الجديدة، هل دانيا جفرون هو حقاً بالجانبية التي يبدو فيها على شاشة التلفزيون؟ والآن



البهجة والهيبة لفكرة القائي بنفسي عند قدميه اعجاباً؟ آه ان الوضع كله في غاية الصعوبة، يا سارا، لقد رأيت الموظفين بأجمعهم يمضون اوقاتهم في مدحه وإطرائه، وهذا يشعرني بالغبـض البالـغ، لقد قدم إليـه كل شيء على طبق من فـضة ودون تـعب، انه لم يجـرب قـط بـعـض ما جـربـته أـنـا، وـمع ذلك فهو مازـال يـشعـر بـأنـه الحقـ فيـ أنـ يـحـكـمـ عـلـيـ...»

شارـلوـت أـلا تـظـنـينـ نفسـكـ انـكـ ربـماـ حـسـنـاـ، انـكـ مـتحـاملـةـ عـلـيـ أـكـثـرـ قـلـيلـاـ مـنـ اللـزـوـمـ؟»

فحـملـتـ شـارـلوـتـ فـيهـاـ، وـقـدـ بـداـ الـأـلـمـ عـلـىـ مـلامـحـهاـ لـماـ رـأـتـهـ مـنـ دـعـاطـفـ شـقـيقـتـهاـ معـهاـ، وـاخـذـتـ تـقـولـ: «ـمـاـذاـ تـعـيـنـ؟ـ وـلـكـنـ كـانـتـ تـرىـ بـالـضـبـطـ مـاـ تـعـنـيـ سـارـاـ وـذـلـكـ مـنـ النـظـرـ فـيـ عـيـنـيـهاـ.ـ وـشـعـرـتـ بـدـمـوعـ الغـضـبـ تـكـادـ تـخـفـقـهاـ.

«ـآـهـ،ـ فـهـمـتـ انـكـ تـظـنـينـ اـنـتـيـ أـغـارـ مـنـ لـأـنـهـ نـاجـحـ وـلـأـنـتـيـ فـاشـلـةـ.ـ»

سارـعـتـ سـارـاـ تـقـولـ: «ـكـلاـ،ـ كـلاـ،ـ كـماـ انـكـ لـسـتـ فـاشـلـةـ،ـ كـلاـ،ـ

كـلـ ماـ كـنـتـ اـعـنـيـ هـوـ لـأـنـكـ مـتـالـمـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـحدـ مـنـ كـلـ ماـ حدـثـ لـكـ،ـ فـقـدـ يـكـونـ حـكـمـ عـلـىـ الـأـشـخـاصـ،ـ وـتـجـاـوبـكـ خـالـيـاـ

قـلـيلـاـ مـنـ التـركـيزـ،ـ حـالـيـاـ،ـ وـلـكـنـ يـاـ شـارـلوـتـ مـنـ الـطـبـيـعـيـ انـ

تـشـعـرـيـ بـقـلـيلـ مـنـ الـاسـتـيـاءـ مـنـهـ،ـ فـانتـ بـشـرـ،ـ وـهـذـاـ شـيـ

طـبـيـعـيـ.ـ وـلـكـنـ لـيـسـ مـنـ طـبـيـعـتـكـ انـ تـسمـحـيـ لـنـفـسـكـ بـالـتـحـامـ

بـهـذـاـ الشـكـلـ عـلـىـ أـيـ اـنـسـانـ،ـ فـقـدـ كـنـتـ دـوـمـاـ تـكـافـحـينـ فـيـ

سـبـيلـ مـعـرـفـةـ وـجـهـ نـظـرـ الـشـخـصـ الـآـخـرـ،ـ وـإـذـاـ كـانـ بـقـيـةـ

الـمـوـظـفـينـ يـجـبـونـهـ كـمـاـ تـقـولـينـ...»

«ـأـنـاـ المـخـطـئـ إـذـنـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ اـنـهـ الطـرـيـقـ الـتـيـ يـعـالـمـنـيـ

بـهـاـ،ـ يـاـ سـارـاـ فـهـوـ لـأـيـقـبـيـ،ـ وـلـأـيـرـيـدـنـيـ اـنـعـمـعـهـ هـنـاكـ.ـ»

ماـ الـذـيـ قـلـتـهـ لـكـ؟ـ سـأـلـتـهـ ذـلـكـ وـهـيـ تـرـىـ الـنـظـرـةـ الـتـيـ رـمـقـتـهاـ

بـهـاـ شـارـلوـتـ،ـ فـتـابـعـتـ تـقـولـ: «ـهـيـاـ مـاـذاـ حدـثـ؟ـ مـاـ الـذـيـ

حدـثـ؟ـ»ـ كـرـتـ سـوـالـهـ ذـاـكـ بـلـهـجـةـ اـكـثـرـ رـقـةـ وـهـيـ تـرـىـ

الـتـعـاـسـةـ الـحـقـيقـيـةـ فـيـ عـيـنـيـ شـارـلوـتـ.

«ـفـتـنـتـتـيـ سـأـعـملـ بـشـكـلـ مـسـقـلـ...ـ اـنـ يـعـاـمـلـونـيـ بـصـفـتـيـ

مـحـاـمـيـةـ مـؤـهـلـةـ،ـ وـلـكـنـيـ وـجـدـتـ اـنـتـيـ سـأـعـملـ بـصـفـةـ مـسـاعـدـةـ

شـخـصـيـةـ لـدـانـيـالـ جـفـرـسـونـ،ـ اـنـهـ لـأـيـرـيـدـنـيـ هـنـاكـ،ـ يـاـ سـارـاـ،ـ اـنـهـ

لـأـيـقـبـيـ.ـ»

سـالـتـهـ سـارـاـ: «ـهـلـ قـالـ لـكـ هـذـاـ بـنـفـسـهـ؟ـ»

فـهـزـتـ شـارـلوـتـ رـأـسـهـاـ: «ـاـنـهـ لـيـسـ بـحـاجـةـ لـذـلـكـ،ـ فـالـأـمـرـ

وـاضـحـ.ـ»

قـالـتـ سـارـاـ نـاصـحةـ: «ـأـلاـ تـظـنـينـ اـنـكـ مـسـتـعـجـلـةـ فـيـ ظـنـكـ

هـذـاـ قـلـيلـاـ؟ـ دـعـيـنـاـ نـبـحـثـ فـيـ الـأـمـرـ،ـ ذـلـكـ اـنـ مـشـاعـرـكـ كـانـتـ

مـحـبـطـةـ نـوـعـاـ مـاـ،ـ مـؤـخـراـ اـذـ كـنـتـ تـنـظـرـيـنـ إـلـىـ الـأـمـرـ بـشـكـلـ

تـشـاؤـمـيـ.ـ»

فـقـالـتـ شـارـلوـتـ وـهـيـ تـتـمـشـيـ فـيـ غـرـفـتـهـاـ: «ـلـيـسـ الـأـمـرـ بـهـذـاـ

الـشـكـلـ يـاـ سـارـاـ،ـ كـلـ شـيـ يـقـولـ..ـ كـلـ شـيـ يـفـعـلـ،ـ يـظـهـرـ اـنـهـ يـدـعـمـ

الـاـخـلـافـ الـذـيـ بـيـنـتـاـ،ـ اـنـهـ يـجـعـلـنـيـ اـشـعـرـ بـخـيـثـيـ وـفـشـلـيـ إـلـىـ

أـقـصـىـ حـدـ،ـ وـيـوـلـمـنـيـ جـداـاـنـ أـرـىـ اـنـهـ لـأـيـقـبـيـ بـكـفـاعـتـيـ الـمـهـنـيـةـ،ـ

وـلـوـ لـمـ اـكـنـ بـحـاجـةـ مـاسـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ...ـ»

فـقـاطـعـتـهـاـ سـارـاـ بـلـطـفـ: «ـشـارـلوـتـ،ـ أـلاـ تـظـنـينـ اـنـكـ ربـماـ

اـكـثـرـ حـسـاسـيـةـ مـنـ الـلـازـمـ؟ـ اـنـتـيـ اـعـلـمـ بـاـنـكـ تـشـعـرـيـنـ بـشـيـءـ مـنـ

الـأـلـمـ وـدـعـمـ الـاـنـصـافـ وـ...ـ»

«ـوـمـاـذاـ؟ـ هـلـ لـهـذـاـ اـنـاـ لـأـتـجـاـوبـ مـعـ دـانـيـالـ جـفـرـسـونـ

رـائـعـ كـمـاـ يـتـجـاـوبـ مـعـ كـلـ اـنـسـانـ؟ـ هـلـ لـهـذـاـ لـمـ تـمـلـأـنـيـ

«ولتكن تعليمي معهم هناك، أليس كذلك؟ وهو مع الوقت لا بد ان يدرك خطأه، هل أنت واثقة من انه هو الشخص الذي تشكك في كفاءتك يا شارلوت؟»  
«ماذا تعنين؟»

وقفت سارا ثم قالت: «عندما اشترينا عجلة لسام، سقط من فوقها، فتناف من ان يعود إلى ركبوبها، وصار في كل مرة يمر بجنبها، يرفسها برجله لأنها آتته مرة، لقد كان يلوم العجلة لسقوطه أكثر من ان يعترف بأنه كان خائفاً من ان يعود إلى ركبوبها فيسقط مرة أخرى..»  
أتريدين أن تقولي ان قدرتي على التحليل تماثل قدرة طفل في الثالثة؟»

«كلا، بل انا انكرك فقط بانك ما انت سوى بشر..»  
«ليس مثل دانيال جفرسون، انه انسان كفوء... هذا ما يقوله الجميع..»  
«إذن فهو يعجبك..»

«يعجبني؟ انتي أكرهه..»  
رفعت سارا حاجبيها وهي تفتح باب الغرفة، وقللت لها بصراحة الشقيقة: «كوني حزنة جداً، فأنت تعليمين ما يقولونه عن الكراهية..»  
سألتها شارلوت: «ماذا؟»

«انها قريبة من الحب..»  
ثم ضحكت وهي تهبط السلالم، ولكن شارلوت تتبعها بقلب مثقل للغایة.

كانت تعرف شقيقتها، فقد كان لدى سارا طبيعة رقيقة للغاية وهي تكره ان تؤدي أحداً، ورأيها في انها هي

شارلوت، من الممكن أن تكون متحاملة على دانيال، وعن غيرتها، قد آذتها، ومع ان شارلوت حاولت ان تتبذل ذلك من ذهنها، فقد بقي برغبها يعاودها طوال المساء ويشعرها بالضيق، والتوتر.

هل هذا صحيح؟ هل عداوها لدانيال سببه شيء أكثر من الاستياء لقلة ثقته بها؟ وهل هي كمارأت سارا، تغار منه في الواقع؟ تغار من نجاحه؟

كانت قد قررت ان تناهى باكراً، ولكن في الوقت الذي خرجت فيه سارا، وعادوا الدهالي بحدهما عن سباق الغولف الذي قام به، ضربة ضربة كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة وشارلوت لم تكن تبحث عن الملفات التي احضرتها معها من المكتب، كانت مصممة على انها وهي تعمل له، ان لا تدع لدانيال أي عنبر لانتقاد عملها، انه اهتماد ان تريه انه قد تكون فاشلة مادياً، ولكنها كمحامية تحاوله كفافة، اخذت في العمل إلى الساعة الواحدة صباحاً، شاعرة بالألم من ظهرها الطول

جلوسها على الكرسي، امام مائدة المطبخ.  
أغلقت الملف الذي كانت تقرأ، كانت قضية معقدة أخرى، كما ادهشها قبول دانيال لها وهي تطلع عليها، فقد كان الجهد الذي انفق عليها حتى الآن، يفوق أي مردود مالي يغطي اتعاب المحامية، لولم تكن تعرف دانيال، لظننت انه لم يقبل هذه القضية إلا من باب الشهامة.

قطبت جبينها وهي تغلق الملف، اتراها تتحامل عليه؟  
وهل عليها ان تضيف ذلك إلى قائمة فشلها الطويلة؟  
نهضت تسير نحو المغسلة وقد تملكتها الإضطراب، ثم فتحت الصنبرور تملأ كوبها بماء بارد.

## الفصل الرابع

«لحظة واحدة من فضلك يا شارلوت».

وَضَعَتْ شَارِلُوتَ الْمَلْفَ الَّذِي كَانَتْ تَقْرَأُ ثُمَّ دَخَلَتْ إِلَى مَكْتَبِ دَانِيَالِ.

ابْتَسَمَ لَهَا وَهُوَ يَدْعُوُهَا إِلَى الْجُلوْسِ، ابْتِسَامَةً كَشَفَتْ عَنِ الشَّرْخِ فِي سَنَةِ.

أَتَرَاهَا كَانَتْ مُخْطَلَةً فِي رأْيِهِ؟ وَهُلْ سَارَ عَلَى صَوَابِ وَهِيَ تُرَى أَنَّهَا بِمَا كَانَتْ بِالْغَةِ الْحَسَاسِيَّةِ وَمُتَحَامِلَةِ أَكْثَرِ مِنِ الْلَّازِمِ؛ أَنَّهَا تَعْرِفُ مَبْلَغَ حُبِّ شَيْقِيَّتِهِا، فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ ذَلِكِ النَّوْعِ الَّذِي يَنْقَدِدُ لِلْتَّخْرِيبِ، وَكَانَ صَحِيحًا أَنَّهَا كَلَّا كُثُرَ احْتِكَاكُهَا بِالْمَوْظِفِينَ تَزَادُ مَعْرِفَتُهَا بِمَقْدَارِ التَّقْدِيرِ وَالاحْتِرَامِ الَّذِي يَكْتُونَهُ لِدَانِيَالِ، الرِّجَالُ مِنْهُمْ وَالنِّسَاءِ.

كَانَتْ آنَّ فِي الغُرْفَةِ هِيَ أَيْضًا وَقَدْ ابْتَسَمَتْ هِيَ أَيْضًا لِشَارِلُوتِ عِنْدِمَا دَخَلَتْ وَبِيَدِهِا كَانَتْ تَسْجُلُ مَا كَانَ يَمْلِيُهُ عَلَيْهَا دَانِيَالَ، فَرَفَعَتْ دَفَرَتَهَا وَأَزْاحَتْ فَنْجَانَ قَهْوَهِهَا.

«عَلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ عَصْرَ هَذَا الْيَوْمِ لِرَوْيَةِ زَبُونِ، أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ وَصِيَّةً جَدِيدةً، وَهُوَ قَعِيدَ الْفَرَاشِ لَا يَسْتَطِعُ الْمُجِيءِ».

بِنَفْسِهِ أَنْتِي أَرِيدُكَ أَنْ تَأْتِي معي».

قَالَتْ آنَّ وَهِيَ تَقْلِبُ شَفَتِيهَا: «أَلَيْسَ هُوَ جُونُ بِالْفُورِ؟»

فَأَجَابَ: «نعم، أَنَّهُ هُوَ».

«هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَغْيِيرُ وَصِيَّتِهِ لِلْمَرْأَةِ الْخَامِسَةِ خَلَالِ الثَّمَانِيَّةِ أَشْهُرِ الْآخِيرَةِ».

كَانَتْ سِيَرَةُ حَيَاتِهِ رَائِعَةً، فَهُوَ ذُو اِنْجَازَاتِ نَاجِحةٍ بِشَهَادَةِ الصَّحَافَةِ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ نَوْعِ الْإِشَّاخِ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ لِدَوْاعِ الْإِحْسَانِ، فَهِيَ قَدْ تَعْرَفَتْ إِلَى رِجَالٍ كَثِيرِينَ مِثْلِهِ، مَا جَعَلَهَا تَدْرِكُ ذَلِكَ جَيْدًا، أَوْ لَكُّ الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا بِيَقْنَانِ يَخْتَلِطُ بِهِمْ.

وَلَكِنَّ مَاذَا الَّذِي كَانَتْ مُخْطَلَةً؟ ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا كَانَتْ سَارَ اِشْارةً إِلَى ذَلِكَ بِلَطْفٍ، كَانَ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ مَعَهُ يَحْبُّهُ وَيَعْجِبُ بِهِ.

وَابْتَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالْذَّعْرِ يَتَمَكَّنُهَا، لَمْ تَكُنْ تَوْكِنْ مُخْطَلَةً، إِنَّهَا تَرِيدُ وَبِحَاجَةٍ إِلَى التَّشْبِيثِ بِصُورَتِهِ فِي مُخَيْلَتِهِا، إِنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى كَرْهَهَا، إِنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَحْمِيَ نَفْسَهَا...

وَضَعَتْ كُوبَ الْمَاءِ مِنْ يَدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَرْتَجِفُ قَلِيلًا، مَاذا تَرِيدُ أَنْ تَحْمِيَ نَفْسَهَا؟

وَتَوَتَّرَ جَسْمُهَا وَهِيَ تَتَصَوَّرُ عَيْنِيهِ وَهِمَا تَرَاقِبُهَا وَجْفُ فَمِهَا.

لَقَدْ مَرَتْ السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ مِنْتَصِفِ اللَّيلِ، بَعْدَ نَهَارٍ حَافِلٍ، وَهَا هِيَ ذِي الْآنِ تَسْمَحُ لِمُخَيْلَتِهِا بِالْتَّجَوَالِ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مُجْوَدٍ، وَقَدْ حَانَ وَقْتُ نُومِهَا:-

فقال دانيال: «انه يشعر بالوحدة، ولا يوجد أي من أفراد أسرته قريباً منه ليزوره، فهو يشعر بالرغبة في التحدث إلى شخص ما هذا رغم انه ثمة من يرعاه ويعتني به بشكل جيد جداً».

فقالت ساخرة: «تعني انه يريد شخصاً يتجادل معه، ما دام يشعر بالوحدة إلى هذا الحد، فهناك كل أنواع المنظمات المحلية يسرعون بزيارته».

فقال لها دانيال بلطف: «انه بالغ الكبراء يا آن، فهو لا يريد ما يظنه احساناً من أي نوع، وبهذه الطريقة بقوله انه يريده تغيير وصيته، أو بشكواه انتي لم اتبع اخر تعليمات بالتفصيل، تكون كبرياً محفوظة لأنني سازوره بداعي العمل ولا شيء غير ذلك».

«نعم، وستمتد انت هذه الزيارة ضعفي ما هو مفروض ان تستغرقه كما ان الأجر الذي تقاضاه منه هو لا شيء تقريباً انتي احياناً اظن انه كان عليك ان تكون طبيباً نفسانياً وليس محاماً». وايتسمت له وهي تقول جملتها الأخيرة، «ان الاهتمام بعجز الآخرين واحتياجاتهم لا يكفي شيئاً، وبعد فإننا جميعاً نحتاج إلى ان يساعد بعضنا بعضأً أحياناً في حياتنا».

أخذت شارلوت تفكير في تعليقه هذا بهدوء، لم تكن تستطيع ان تتصور ان هذا الرجل يمكن ان يحتاج شيئاً من أحد، ولكنها لم تستطع ان تتنكر الاقتناع الصادق الذي يبدو في لهجته.

حاولت ان تخيل بيفان أو أيّاً من اصدقائه يقومون بعمل كعمل دانيال هذا، ولكن مخيلتها لم تستطع الوصول إلى

صورة كهذه، ففي حياة بيفان كل شيء كان يتعلق بالمصلحة بما في ذلك هي، وعندما اخذت علاقتها تتراجع... لم تأسف على خسارتها بيفان، ولكنها مازالت تتالم لكونها كانت من الغباء يوماً، بحيث افتنت به وانتقدت إليه.

قال لها دانيال بلهجة ذات معنى: «سيعجبك جون فانتما الاثنان محاربان» وألقى عليها نظرة جعلتها تهتز للرجلة الفيضاة والجدابة التي رأتها فيه... ولكن كلاً ذلك أنها لا يمكن ان تستجيب لجانبите هذه حتى ولو كان آخر رجل تراه في حياتها.

ولتكن بصيغة ثالثها محاربة هي محاربة، كيف يمكنه ان يظن ذلك والمرارة تناهياً للسرعة التي استسلمت فيها لدى أول عقبة اعتبرضتها؟ ولكن أي خيار كان امامها؟ فهي لو كانت أصرت على البقاء في العمل لجازفت بخيانته نقمة زبائنه، كان عليها ان تعرف لهم بفشلها، وبالتالي تتصفهم باللجوء إلى من هو أكثر كفاءة مالية من المحامين.

ربما كان بإمكانها ان تستمر بضعة شهور أخرى، مخادعة زبائنهما بالإدعاء بأن كل شيء يسير على ما يرام، فشركة التامين ستغضي كل ما قد يصيبهم من ضرر بسبب أي قصور مالي قد يعانون منه، ولكن لم يكن هناك طريقة يمكنها ان تعوضهم بها عن خسارة الوقت، وهذا ما لم تستطع المجازفة به، وقد سخر منها بيفان لأجل هذا، فهو كان يجازف كل يوم، يجازف بمالية ضخمة تبلغ ملايين الجنيهات، وهذه هي الحياة بالنسبة إليه وبمقدار ما تحتويه من مخاطر يكون الرضا الذي يلقاء الشخص منه، ولكنها لم تكن كذلك، فقد كانت بالغة الحرص، وكان

ولكن ماذما هناك ليجعله يعجب بها؟ لخذت تتساءل بذلك وهي تعود إلى مكتبها، ذلك إن من الواضح عدم رغبته في وجودها... من الواضح أنه يراها عيناً ومسؤولية، وربما يشتم نفسه في كل مرة يراها على قبوطه بأن يسمح لرويشارد بمقابلتها وتوظيفها.

ربما لو كانت هي مكانة، لشعرت بنفس الشيء بالضبط، وبعد ما هي الفائدة من الموظف الذي لا يمكن الوثوق به في العمل، والذي ينبغي مراقبته على الدوام، مثلها هي؟ وأغرورقت عيناهما بدموع المرارة وهي تجلس خلف مكتبها.

كان دانيال قد قال لها إنها سيخرجان خلال نصف ساعة، فأخذت تتفقدحقيقة كتفها التي تحتوي على الأوراق المهنية من مستندات وأقلام ودفاتر، لم يكن لديها فكرة عن السبب الذي جعل دانيال يطلبها لمرافقته، ربما لم يكن يثق بها ليتركها وحدها في المكتب... إذ قد تجيب على الهاتف وتتحدث إلى زبون ما...

\*\*\*

«هل أنت جاهز؟»

اجفلت صوت دانيال المفاجئ، ذلك إنها كانت من الاستقرار في القراءة بحيث لم تسمع صوت دخوله مكتبها،طبعاً، كان عليه أن يأتي ليقف بجانبها، مما جعلها تتضطرب بشكل حاد بحيث دفعت كرسيها إلى الخلف، وبدلًا من ان تنهض متهركة برشاشة ونعومة، إذا بها تقفز مرتبكة، وتقوم بحركات غير منسجمة كادت معها أن توقع الملف من على المكتب، بينما وقعت سرتها على الأرض.

«إسمحي لي.»

دانيل يقول لها: «أخشى بذهابك معى، ستقوتك ساعدة الغداء».«

«هذا غير مهم،» قالت ذلك واعية إلى ما كان في لهجتها من توتر وتحفز، وكانت آن قد غادرت الغرفة الآن وكانت هي تقف أمام مكتب دانيال، متثبتة بالملف الذي كان في يدها وكانت تستمد منه الحماية.. أو ترى فيه سلاحاً... ولكن سلاحاً ضد من؟

كان ثمة ملف على مكتب دانيال، فنظرت إليه، وعندما رأت الاسم باتريشيا وينترز مكتوباً عليه، تملكتها التوتر بشكل أكلي. وعندما أدرك دانيال أنها كانت تنظر إلى الملف الذي ذراعه وكأنه يقطيه، ما ملا شارلوت بموجة من التحفز الغاضب، لماذا شعر بأن من الضوري أن يبعد هذا الملف عنها؟ وما هو الضرر الذي سيتخرج عن مجرد النظر إليه؟ سائلها: «ما مبلغ تقدمك بالنسبة للملفات؟» تملكتها التوتر على الفور واجابت بحدة: «مازلت في منتصفها.»

فرفع حاجبيه مفكراً: «أحقاً؟ لا بد انك قارئة سريعة للغاية.»

فسهرت بالإحمرار يصعد إلى وجهها، ما الذي يعني بكلامه هذا؟ هل هو أنها تمر على الملفات بقراءة مجردة من أي تفكير أو تمعن كاف؟ لا شك في أنه لو كانت أخبرته بانها لم تنه بعد سوى ملف أو اثنين، كان سيتهمها بالبطء وليس باعمال الفكر والتعزن في المحتويات.

كلا... من المؤكد أنها لا تعجبه، مهما كان مقدار اللطف والرقى الذي يبيديه نحو الآخرين.

تركتها لي، انتي لا استعملها دائمًا، ولكن جون وليديا كانت صديقين حميمين، وهو سيتمكن من رؤيتها من نافذته». فلم تقل شارلوت شيئاً.

كانت المقاود من الجلد وكان الجلد قديماً مهترئاً من بعض الأماكن، وتبدل شعور الغضب والاستياء لعدم ثقته بها، من نفسها ليحل مكانه شعور بالحزن والهجران، وكانتها منبوذة من وليمة حافلة، ولن تتمكن أبداً من الاستمتاع بها كغيرها، ذلك أن لديها كل هذا القدر من الحنان نحو كل شخص آخر، فلماذا لا يصلها شيء منه هي أيضاً؟ لكنها كانت تصرخ بأستانها أنها لا تريد عطفه، كما أنها ليست بحاجة إليه.

كان يقود السيارة جيداً وبحذر، كما كانت تتوقع لقد كان بيفان يقود سيارته البورش بسرعة بالغة وبفروغ صبر، متوجهالاً المارة وبقية السيارات، كان على العكس تماماً من دانيال الذي أبطأ بالسيارة ليسمح لأم بقطع الشارع.

كان المبني الذي يقيم فيه جون بالفور يبعد عن المدينة أميالاً قليلة، وعندما صعداً في الطريق نحوه، رأت شارلوت بعض الأشخاص المسنين إما سائرین أو جالسين في الحديقة، ملتفين بمعاطفهم جيداً، ردعوا للهواء البارد، وعندما أصبحا في داخل المبني رأت الصالون الفسيح حيث كان البعض يلعب الورق، بينما يثير آخرون أو يتفرجون على برامج التلفزيون.

«أن لدى جون كرسيها بعجلات ما يمكنه من الانسماح إلى الآخرين، إذا شاء ولكنه من النوع العنيف فهو لا يستطيع ان يرى كم يحرمه عناده من البهجة والصحبة».

تملكها التوتر وهي ترى دانيال يسترد السلطة قبل ان تصل هي إليها، ثم يحملها بيديه بحيث لم تجد من الخيار سوى ان تدعه يساعد هافى ارتداها، لتبتعد عنه بعد ذلك بسرعة وهي تقول: «شكراً».

«الغفو»، وعندما استدارت إليه رأته ينظر إليها بتفكير عميق.

لم تكن شارلوت من ذلك النوع من النساء اللواتي يضعفن أمام الرجل، مهما كانت وسامتها بالغة.

ودانيال كان وسيماً جداً، وهذا لا يمكنها انكاره، كان فيه شيء ما... شيء هو مزج من الرجلة الفاتحة وبخاصة دافئة... وكان هذا يرسل في كيانها التوتر.

لا عجب إذن في اختيار باتريشيا وينترز له ليكون زوجها الثاني اذا صحت هذهظنون، اتراهما سيتزوجان؟ انهم عند ذلك سيُلغان زوجين على درجة عالية من الامتياز الاجتماعي.

وإذ ذكرت نفسها بأن علاقاته الشخصية ليست من شأنها، تناولت حقبيتها، وقد سرها ان انسدال خصلات شعرها على وجهها اثناء انحنائها، قد سترها عنه التعبير الذي بدا على ملامحها.

قال لها وهما يخرجان من المكتب: «ان سيارتي في الخارج».

وعندما فتح لها الباب لتخرج كانت السيارة الوحيدة التي رأتها شارلوت واقفة قديمة الطراز إلى أقصى حد، ولكنها ماركة جاغوار صالون ذات لون قرمزي لامع.

قال لها وهو يفتح بابها: «انها سيارة عمتى ليديا، وقد

قال دانيال وهم يصعدان السلم: «ربما». «فقالت شارلوت: «ربما هو يفضل العزلة».

لكنه لو كان يفضل العزلة، لما شعر بالحاجة إلى طلب دانيال بهذه الكثرة بحجة تغيير وصيته، لاخت تفكير في ذلك، وألقت نظرة قصيرة على دانيال، ولكنها لم تر في وجهه ما يشير إلى أنه فكر في أن يشير لها إلى ذلك، وعبس قليلاً، لو كانت في مكانه لفعلت ذلك.

ولكنها ليست في مكانه، على كل حال، ولو كانت لاستطاعت أن تكون من الشهامة بحيث تستمع لمساعدتها الفاشلة المسكينة بأن تظن أنها أحرزت تصرراً، وإذا بها تشعر فجأة بالامتعاض منه لتلك الشهامة كما لو أنه أشار إلى نقطة الضعف في نقاشها.

عندما وصلوا إلى قمة السلم، تفرع الممر إلى جهتين متقابلتين وعندما استدارت شارلوت لوحدها نحو اليمين، لمس هو ذراعها قائلاً: «من هذه الناحية». مشيراً نحو اليسار.

استدارت على الفور دون أن تعلم أنها كانت شبهاً ملاصقة له، وعندما لم يحاول أن يتحرك، رفعت بصرها إليه مستطلعة بصبر نافذ.

قال لها مجيباً على سؤالها الذي لم تنطق به: «لقد أدركك لتوي مبلغ ما أنت عليه من ضائقة في الحجم». «تملكها سخط بالغ على الفور.

لقد كانت تكره دوماً أن يشير الناس إلى قصر قامتها، فقالت له ثائرة: «أن طولي خمسة أقدام وثلاث إنشات». فرأته وكأنه يكتم ابتسامة.

لا شك في أنه يفضل طويolas القامة من النساء، وتذكرت ان باتريشيا وبينتز طويلة القامة.

«أظن هذا هو السبب في ارتدائك هذا الحذاء السخيف». قبضت يديها بعنف وعيناها تقىضان غضباً واستياء، «إن حذائي ليس سخيفاً». قالت ذلك ببرودة، ذلك إن حذاءها كان في الواقع غالى الثمن وقد كانت تمنت شراءه مدة طويلة، حسناً إذا كان حذاؤها سخيفاً، فماذا يقول عن ثوبها القصير، إذن؟ ودفعها الشعور بالتعاسة إلى الاندفاع بالسير في الممر دون أن تنتظر ما إذا كان دانيال يتبعها. لماذا؟ لماذا تخارجاً بكل ملابسها القديمة؟ قد لا تكون جميلة الطراز ولكنها ستكون مناسبة لدورها الجديد هذا في الحياة أكثر بكثير من هذه الملابس التي عليها ان ترتديها الآن.

فهذا الطقم الذي ترتديه الآن مثلاً، إنها لم تدرككم هي مثيرة تتوتره القصيرة إلا هذا الصباح وهي ترى حاجبي والدتها يرتفعان عند مائدة الإفطار، كان القماش من الصوف الأسود الناعم كما كانت السترة مبطنة بالحرير، ومع القيسون الأبيض، كان المفروض أنه ثوب عملى، ولكن والدتها كانت قد علت بجهاء بأنها مسرورة لأن زوجها قد تقاعد قبل أن ينتشر مثل هذا الطراز من الملابس في البنك الذي كان هو مديره.

قال والدها وهو يقهقح ضاحكاً: «هذا لا شيء»، كان عليك أن ترى التنانير التي كن يرتدبنها في الستيونات، كان علينا أن نستبدل أمكتنة الملففات، لأنه في كل مرة كانت الفتيات يصعدن إلى الأدراج العليا من الخزانات الموجودة، كان بالإمكان رؤية...»

قال له دانيال ما أدهش شارلوت: «كلا، إنها لا تشبهها بالجسد، ولكنها تشبهها في نواحٍ أخرى. بالمناسبة، كان على شارلوت أن تتنازل عن غدائها لكي تاتي معى، ولهذا أرى أن تدق جرسك هذا وتطلب لها فنجان شاي».

أخذ جون بالفور بالتنمر قائلاً أنها غرفته وليس غرفة دانيال، وأنه قادر تماماً على أن يطلب لهم جميعاً الشاي بنفسه دون حاجة إلى من يقول له ذلك، «يجب أن أجعلك تحسم ثمن الشاي مما ستاخذه أجرة وصيتي الجديدة» قال ذلك شاكياً وهو يربن الجرس الذي بجانب سريره، ولكن شارلوت كانت ترى حف تذمره هذا سوراً إذ يجد عنراً لإطالة أمد زيارتها.

لم يكن دانيال مستعجلًا للعودة إلى العمل، فقد أخذ يتحدث بإسهاب مع جون بالفور عن الخطة الجديدة لتغيير مركز المدينة، راضياً أن يجر إلى نقاش عندما قال له الرجل العجوز ان المخططين لذلك يدمرون المكان، شاكياً من انهم يجعلونه غير مناسب ليعيش فيه أحد.

قال وهو ينظر من النافذة: «أرى انك مازلت تستعمل سيارة ليديا، كانت امراة ممتازة عمتك تلك. لا وجه للمقارنة بينها وبيني، أما بالنسبة إليك... لا اظن الغرور قد تمنك إزاء كل هذه الضجة التي تدور في الصحف حولك» أجاب دانيال ببرزانة: «أرجو ان لا يكون هذا، يا جون». عندما دخلت الفتاة تدفع أمامها عربة فوهة الشاي وطبق شطائر وبعض الكعك، نهض دانيال على الفور ليساعدها، ورأى شارلوت كيف احمر وجه الفتاة ثم ابتسمت له. وعندما خرجت الفتاة قال جون: «من حسن الحظ انك لم

قالت والدتها بحزن: «هذا يكفي يا جورج».

كانت أرض الممر مكسوة بالمشمع وذلك لتسهيل التنظيف دون شك، وعندما سمعت شارلوت خطوات دانيال خلفها تتباطأ، ترددت ثم استدارت نحوه.

كان قد وقف أمام أحد الأبواب وأخذ يقرعه، وعندما سمعته يقول: «مرحباً، يا جون، لقد حضرت لك معي زائرة هذا النهار».

ثم تراجع إلى الخلف لكي تدخل هي أمامه إلى الغرفة، كانت غرفة متعدة تحتوي على مدقأة بداخلها قار مشتعلة بهيجة للنظر، كان على كل جانب من المدقأة معداد

كبيران، كما ان بجانب السرير كان يوجد كرسى بعجلات.

كان الرجل الجالس فيه أبيض الشعر، وقد غضبت السنون وجهه، كما لوى التهاب العظام مفاصل اصابع يديه. «ها...»

لم يمتلك شارلوت الاستياء لقوله هذا رغم ارتباكاها لسماعه، فقد كانت تعودت طوال السنوات الماضية، معاملة الزبائن الذين في سنّة من الرجال، وانهم لا يقصدون جرحها بنوعية كلامهم، فهم في الواقع كانوا يظنون انهم يمدحونها ويتدرون إليها.

«كلا يا جون، ان شارلوت هي مساعدتي الجديدة، وهي محامية مؤهلة».

«هل هي محامية؟ حسناً، انها لا تشبه ليديا». تكهنت شارلوت من طريقة كلامه، ان ليديا جفروson هي القياس الذي يقيس به كل امراة تتبع نفس المهنة.

تدعها تسكب الشاي ببنفسها، وإلا لسكبته على الصينية والعربية جميعاً. ثم عبس وهو يسأله: «لا اظنك ما زلت تقابل أرملة وينترز، أليس كذلك؟» مظهراً بذلك انه لم يكن يعتقد على الاطلاق انها هي شارلوت، صديقة دانيال.

قال بول وهو يسكب الشاي: «لقد كان زوجها بول وينترز زبوننا لي.»

«ان هذه المرأة هي مصاصة دماء، فقد قبضت بمخالبها حقاً على بول العجوز، سمعت انها حصلت على كل شيء، وان غوردون بقى دون شيء». «فقال دانيال بهدوء: «لم يكن غوردون سوئاً ابن زوجته ولهذا لم يكن له حق شرعني في الأملاك.»

«هذا صحيح، ولكنه كان بمثابة الابن لبول، فقد كان يقوم لأجله بكل شيء قبل ان تأتي هي، فتاة في الثالثة والعشرين تتزوج رجلاً بعمره، هي...»

«إن هذا يحدث لحياناً.»

«نعم، ونحن جميعاً نعرف لماذا.»

توقف دانيال، بينما نظرت شارلوت بقلق إلى جون بالفور، من الواضح انه من اولئك الاشخاص الذين يحبون إثارة المشاكل وإحداث المواجهات، ولكن لا بد انه يعلم مبلغ عدم رغبة دانيال في سماعه ينعقد باتريشيا، خصوصاً أمام شخص ثالث، وعلى الأخص امامها.

«يبدو أن هذا المنزل قديم جداً.» قالت ذلك بسرعة متجمبة النظر مباشرة إلى دانيال وتنك في محاولة منها للتغيير موضوع الحديث، دون أن تفهم السبب الذي جعلها تشعر بالحاجة إلى تغييره انها دوماً تكره المجال، كما أخذت

تحدث نفسها بضيق، وليس لهذا علاقة بأية رغبة منها في حماية دانيال من هجوم هذا الرجل الانتقادي عليه، وبعد لماذا عليها ان تحمي؟

وتتابعت تقول: «لا بد ان له تاريخاً خلاباً.»

ألقى عليها جون بالفور نظرة ساخرة للغاية: «من أين لي أن أدرى؟ ان عمري ثلاثة وثمانون سنة وليس ثمانماة.» فقال له دانيال: «لا تضايقها، يا جون فانت تعلم تماماً ما قصدته شارلوت برسوها». ثم قال لها باسمها: «نعم، ان له تاريخاً هاماً، وفي الواقع كان ملكاً لعمتي». تدخل جون بالفور قائلاً: «إلى ان منحته للمدينة ليكون مأوى للعجزة والمحاججين». *نور has come b3*

«لقد تركت عمتي المنزل للمدينة، هذا صحيح، ولكنهم لسوء الحظ لم يستطيعوا القيام ببنقات صيانته، وهكذا باعوه إلى مؤسسة خيرية هي التي تديره الآن، لقد كان أصلاً منزل والدي ليديا، وعندما ابتدأت عملها في مزاولة المحاماة، تشاورت معهما لأنهما عارضاً عملها، ثم اشتترت منزل المدينة بمبلغ ورثته وقد مات شقيقها، والذي هو جدي، قبل والديه، وبهذا ورثت هي هذا المنزل، كانت تقول ان والدها حظر عليها دخوله اثناء حياته، وبعد مماته لم تشاوره، وهكذا اجر مدة طويلة، ثم كما قال جون أو صرت به للمدينة بعد مماتها.»

قالت شارلوت: «لا بد انها كانت امرأة غير عادمة.»

قال دانيال: «نعم، لقد كانت كذلك.» وبدت في عينيه لمحات حزن وكأنه مازال يفتقدها. «كانت تحب الاحسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى ثم...»

فقطاعه جون بالفور: «كانت عنيدة كالبغل، أعنده امرأة رأيتها في حياتي». فضحك دانيال: «حسناً، نعم كانت كذلك، وهذه ميزة كنت أنت وهي تشركان فيها، أليس كذلك يا جون؟» فعبس الرجل المسن، ولكنه لم يذكر ذلك. استغرق الوقت ساعتين تقريباً، وذلك لإتجاز تغيير طفيف في وصيته، وبينما أخذت شارلوت تستمع، كانت تشعر ليس بالإعجاب، ليس بصبر دانيال فقط، وإنما بلياقته أيضاً.

عندما انتهوا، وقفت شارلوت ثم سارت نحو الباب، وبينما كانت تفتحه، سمعت جون بالفور يقول لDaniyal: «هل أنت واثق من إنها محامية؟ إنك لم تر ليديا قط مرتدية تنورة مثل هذه.» شعرت شارلوت بجلدها قد أخذ يلتهب، وقبضت أصابعها على مقبض الباب بعنف، ولكنها لم تجرؤ على الالتفات إلى الخلف.

«أنه طرزاً جديداً، يا جون.» رد دانيال عليه بذلك، ولكن شارلوت ابركت من صوته انه كان يبتسم.» وعندما هبطا السلم معالماً متسطع ان تنظر إلى وجهه وقد جعل الاوضطراب قلبها يتحقق بضيق، فقد كان مزيع الخزي والضعف الذي طالت معاناتها منه في المدة الأخيرة، يكاد يختنقها، فهي لم تتعود فيض المشاعر كما يحدث معها الآن، فقد كانت دوماً فخوراً بقدرتها على السيطرة على نفسها، ولكن هذه السيطرة والإيمان بنفسها، قد تبددا الآن ما أصبحت معه باللغة الحساسية فياضة المشاعر.

عندما توقف دانيال ليتكلم قليلاً مع مديرية الملجأ،

تقدمته في السير لكي تخرج متديلاً ورقياً بسرعة من حقيبتها تمسح به دموعها.

ووعندما وصل إليها، كانت تلقى بالمنديل بعيداً، فسألتها: «ماذا حدث؟» وقطب جبينه قليلاً وهي تنظر بعيداً عنه، «هل أنت مستاءة مما قاله جون عن ملابسك؟ ما كان لك ذلك، واظنه كان يمدحك بطريقته الخاصة.»

فقالت: «وطبعاً، إذا كانت تعليقات الناس على ملابسي لا تعجبني، يمكنني ان أرتدي تنانير اطول. أليس كذلك؟» كانا قد أصبحا الآخرين خارج المبنى، وكانت قد أصبحت من السيطرة على مشاعرها الآن بحيث استدارت تواجه دانيال أثناء الطريق المبلط بالحصى.

«حسناً، لمعلوماتك الخاصة انا مرغمة على ارتداء هذه الملابس لأنني لا استطيع شراء سواها، هذا ما يحدث للناس الفاشلين في اعمالهم امثالى، انك طبعاً لا تعرف مثل هذه الأمور أو أي نوع من الفشل، أليس كذلك؟ اظنتني احب ان يحملق بي الناس متعجبين مما يجعلني ارتدي ملابس لا تناسب مهنتي على الاطلاق؟»

شارلوت... يا فتاتي العزيزة، ليس ثمة خطأ في ملابسك في الواقع وبصفتي رجلاً بالطبع، اظنك.. تدين بها في غاية الجاذبية» وعندما أخذت تحدق به، منحها ابتسامة عريضة طفلية يعتذر بها عما قال: «ارجوك لا تفهمي كلامي خطأ، ولكن هذه الملابس تضفي على المرأة جاذبية خاصة...»

فقطاعته بصوت كالفحيج: «هذا ما اعنيه بالضبط، وهو هذا النوع من زهو الرجال، انكم انتم الرجال، متشابهون، لأنكم جميعاً تظلون ان المرأة تختر ملابسها لهدف واحد،

## الفصل الخامس

«انك لم تنسى موعدنا الليلة أليس كذلك؟»، فلوت شارلوت اساريها في سماعة الهاتف وهي تسمع سؤال شقيقتها: «كلا، لم انس، العشاء هذه الليلة في ذلك المطعم الإيطالي الجديد».

«سأتي إليك إذن الساعة السابعة والنصف، ولا تنسى ارتداء ذلك الثوب».

تارهت شارلوت ضحكت. وجاءها صوت دانيال بجانبها يقول: «شارلوت، هل لديك ملف هایقام؟» غطت قوحة الساعة بيدها وهي تتناول الملف من على مكتبه ثم تناوله لدانيال، ثم تقول لشقيقتها قبل ان تضع السماعة بسرعة: «على ان اذهب الان، إلى اللقاء هذا المساء».

كانت ما تزال تشعر إزاء دانيال بالضيق والتعاسة منذ انفجاراتها تلك الليلة خارج الدار، ما الذي تملكتها فجعلها تقول ذلك الكلام الغبي عن عدم قدرتها على شراء ثياب مناسبة؟ ان آخر ما كانت تريده هو استدرار شفقتها، ولكنها قد قامت بذلك فعلاً.

لو لا دانيال لاستقرت في وظيفتها بارتياح وسعادة... بسعادة تامة في الواقع... ولكنها طوال الوقت كانت تحس بقلة ثقته فيها، ما كان يشعرها بالألم والضيق.

حسناً، لمعلوماتك الخاصة انتي اختار ملابسي لإرضاء نفسي وليس لإرضاء الرجال». لكن شارلوت وهي تقول ذلك، كانت تعرف ان هذا غير صحيح، فقد اشتربت هذه الملابس بتعليمات من بيفان، لأنها كانت تريد ان ترضيه. شعرت بخفة في حلتها لما شعرت به من تعasse واحتقار لنفسها.

وسمعت دانيال يقول: «أنا آسف».

عندما وصلـا إلى السيارة، سـألـها يـهـودـهـ: «شارـلوـتـ، هلـ صـحـيـحـ اـنـكـ لاـ تـسـتـطـيـعـ دـفـعـ ثـنـنـ؟ـ»ـ لكنـ شـارـلوـتـ كـانـتـ قدـ اـحـتـلـتـ مـاـ فـيـهـ الـكـفـاـيـةـ، لـمـازـاـ؟ـلـمـاـذاـ سـمـحـتـ لـطـبعـهاـ يـاـنـ يـفـورـ وـمـنـ ثـمـ يـجـعـلـهـاـ تـلـيـ بـذـلـكـ الـاعـتـارـ؟ـ فـقـالـتـ لـهـ باـخـتـصـارـ: «لـأـرـيدـ التـحدـثـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ»ـ.

نور

عـنـدـمـاـ اـخـذـ يـفـتحـ بـابـ السـيـارـةـ، خـيلـ إـلـيـهـ اـنـهـ سـمعـتـ يـقـولـ عـابـسـاـ: «مـرـأـةـ أـخـرىـ...ـ هـلـ هـنـاكـ شـيءـ آخـرـ لـاـ تـرـيـدـيـنـ التـحدـثـ عـنـهـ؟ـ»ـ

لكـنـهـ رـأـتـ اـنـ مـنـ الـحـكـمـةـ تـجـاهـلـ سـؤـالـهـ، بـدـلـاـ مـنـ اـنـ تـغـامـرـ بـكـشـفـ المـزـيدـ عـنـ نـفـسـهـ إـذـاـ هـيـ اـجـابـتـهـ.

كانت تتناول الغداء مع جيني مسرورة للخروج معها في آشعة الشمس عندما حانت الساعة الواحدة وأخيراً. تناولاً غداءهما في مقهى صغير يبعد عدة شوارع، وكانت شارلوت تنتظر متسلية إلى موظفي البنك المقابل الشبان وهم يلاحقون جيني بنظرات الاعجاب، عندما أدركت أنها هي أيضاً تحظى بنفس نظرات الاعجاب، ولكنها أكثر تعقلًا وذكراً من رجل كان جالساً وحده على بعد عدة موائد، ولكنها تجاهلت مرکزة اهتمامها في طعامها.

كانت جيني تثرثر بسعادة عما ستعمله في عطلتها الأسبوعية وكانت تقول ضاحكة: «ـا للسيد جفرسون المسكين، لقد اتصلت السيدة وينترز به هذا الصباح، وهي ستأتي لرؤيتها عصر هذا اليوم».

قالت شارلوت: «ربما هو يريد رؤيتها».

فقالت جيني مؤكدة: «هذا غير ممكن، فهي ليست النوع الذي يعجبه، أنتي أراه أنه لا يريد ان يراها على الاطلاق لو لم يكن ذلك بسبب...».

وسكبت فجأة وقد احمر وجهها شعوراً بالذنب، وأدركت شارلوت ان الفتاة قد غيرت رأيها فيما كانت تريده قوله، فلم تلح عليها لكي تستمر، إذا كان هناك شيء يتعلق بعلاقة دانيال بباتريشيا وينترز فليس مسؤولها بمعرفته، فلا يأس في ذلك.

لم تعد جيني إلى نظر دانيال أو باتريشيا، ولكن استمتعت شارلوت بطعمها قد تلاشى، وعندما سارت معًا عائدين إلى المكتب، أخذت تتساءل عن السبب الذي جعلها تتضايق من ذكر علاقة شخصية بين دانيال وباتريشيا، ثم ما الذي يجعلها تهتم بحياة دانيال الشخصية؟

عندما عادت إلى مكتبه كان الباب الموصل مفتوحاً، ما جعل بامكانها أن تستمع أصواتاً في مكتب دانيال، وكانت على وشك إغلاق الباب عندما سمعت اسمها، فجمدت مكانها على الفور، غير قادرة على متنفسها من الاستساع، «ولكن لماذا هي مساعدتك الشخصية، يا دانيال؟ إنك تفضل العمل منفردًا فهذا ما سمعتني تقوله مرة، وإذا بك فجأة تتذكر.. هذه.. هذه المرأة.. ثم لماذا امرأة.. لماذا ليس رجلاً؟»

أمسكت شارلوت بإنفاسها وقد انفرزت اظفارها في راحتها وقد تملك التوتر كيانها في انتظار جواب دانيال، ثم سمعته يقول: «ـا إننا الذي وظفتها، يا باتريشيا، انه ريتشارد الذي أجرى لها المقابلة، انه.. نحن الاثنين كنا نشعر بأن عبء العمل قد ازداد بالنسبة إلينا بحيث لم يعد لدينا وقت كافٍ لزيانتنا».

«نعم، ولكنها مساعدتك أنت، وهي تشتعل لأجلك مباشرة، وفي قضيائك».

بدالشارلوت وهي تستمع، وكان وقتاً طويلاً مضى قبل أن يجيب دانيال قائلاً: «نعم، لقد شعرت بأن الحكمة أن تتعاون معى، في البداية على أن تعمل مستقلة بعد ذلك. «ـا تتعنى أنها ليست كفواً بالنسبة إلى العمل، لماذا وظفها ريتشارد إذن؟ فهي ليست جميلة إلى ذلك الحد».

أجاب دانيال: «ـا مـهـلـةـ بشـكـلـ مـمـتـازـ».

قالت باتريشيا هازئـةـ: «ـاـ نـعـمـ،ـ اـنـهـ مـهـلـةـ جـيـداـ بـحـيـثـ عـلـيـكـ انـتـشـرـ عـلـىـ عـلـمـهـاـ،ـ حـسـنـاـ،ـ سـاقـوـلـ لـكـ هـذـاـ يـاـ دـانـيـالـ...ـ وـهـوـ اـنـتـيـ لـاـ أـرـيـدـهـاـ اـنـتـشـرـتـ فـيـ مـعـاـمـلـاتـيـ».

مشاعره نحوها بابتسامات ومودة زائفة، لأنها كانت احياناً، عندما كان ينظر إليها ويسم لها، كانت تنسى عداءها وامتعاضها منه، لتجد نفسها منجذبة إليه، حتى أنها تشعر بالرغبة في الاستمتاع بإعجابه ورضاه، ولكنها لن تخضع بعد الآن لذلك النوع من الضعف.

لقد سمعته فعلًا يعترف بما يُوك شكوكها، فماذا تريد من البراهين أكثر من ذلك؟

وعندما حان الوقت لخروجها والذهاب إلى بيتها، تملكتها السرور، وفي سيارتها حدثت نفسها بأن من السخافة أن تدع ذلك الشعور يتملكتها... الشعور بالألم لأن رجل فيها، وهو موصيًّا عندما يثبت ذلك الرأي ما سبق وشعرت به.

بعد ظهر هذا النهار عندما خرجت باتريشيا ويتربز، ساورتها رغبة في دخول مكتبه لمواجهته بما سمعت، لتقول له أنها هي نفسها واعية لفشلها ولا حاجة بــلتاكيد ذلك لها. ما الذي تريده منه في الحقيقة؟ أخذت تسأل نفسها ذلك بعد نحو ساعتين، بعد أن استعدت لشخصية المساء مع شقيقها، تفهمه.. عطفه.. رقته وشهامته... استحسانه وأعجابه بعملها، ولكن لماذا؟ لماذا يومها رأيه فيها وهي مثل هذا الوقت القصير الذي مر عليها في العمل معه؟ ولكنها مالبثت أن نبذت هذا السؤال وكانتها تقريباً تخاف من المواجهة.

قالت لها سارا بعد ذلك بنصف ساعة وما تتجهان بالسيارة إلى المدينة، قالت: «تبين هادئ جدًا، هل كل شيء على ما يرام؟»

تلامت اصواتهما تدريجياً، ما تكهن شارلوت معه بأنهما يسيران نحو باب الخروج.

انتظرت إلى أن شعرت به يفتح واطمأنت إلى أنها قد أصبحت خارج المكتب في الممر فاغلق باب الموصل ثم اتكلت إليه وجسمها يتنفس تائراً وخيبة أمل، إذن فهي على صواب منذ البداية، فهو لا يثق بها، وتلك اللحظات المختصرة، والأحاديث القليلة أثناء الأيام الماضية، عندما كانت تتساءل عما إذا كانت سارا على صواب في أنها سمحت لنفسها بــأن تسيء الحكم على الوضع، كل ذلك لم يكن سوى خداع للنفس.

انها تكرهه... تكرهه... ولكن ليس كذلك ما كرهه نفسها، تمنت لو أنها تدخل مكتبه لتخبره بما عليه ان يفعل بظيفته هذه... ولكن هل بإمكانها ذلك؟

رغم اشتئازها من ان تعرف بذلك لنفسها، كان وراء غضبها هذا شعور عكسي بالغ الخطورة هو أقرب إلى الشعور بالندى، بجرح في الكرامة... ذلك النوع من الشعور الذي يمتلك المرأة عندما تكتشف أن الرجل الذي تتجنب اليه لا يريدها.

ما الذي جرى لها؟ أخذت تتساءل بهذا حانقة، أنها غير منجذبة إليه طبعاً، وكيف يكون ذلك وهي تعلم رأيه فيها؟ ان كرامتها لن تسمح لها بــأن تتجنب إلى رجل من الواضح انه لا يفكر فيها.

لكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من ان تتذكر العطف والرقة اللذين كان يغمر بهما امثال جون بالفور، سخاء غير ملائين مثلاً.

كانت تفضل كثيراً لو انه كان صادقاً معها بدلاً من ستر

نعم، نعم، جيدة تماماً». اجابت شارلوت بذلك بفتور، ولكنها أحسست أن شقيقها لم تتنزع.

فقالت سارا: «إنك لم تلبسي تنورتك القصيرة.» فقالت شارلوت: «هذا صحيح.»

ذلك أنها كانت غترت على ثوب آخر رأته أكثر ملائمة، وكان ثوباً أسود من الجيرسي فضفاض الطران، ما بدا معه أنيقاً جذاباً، وأحسن ما فيه أنه كان أطول كثيراً من معظم ثيابها، فقالت سارا: «حسناً، يجب أن اعترف بأنّ ثوبك هذا أعجبني». أخذت سارا والتي كانت قد سبق وتناولت من قبل الطعام في هذا المطعم الإيطالي، أخذت تدلّها على الطريق خلال المدينة إلى أن وقفت شارلوت السيارة على قطعة أرض خالية أمام المطعم.

كان المطعم من الداخل أجمل مما كانت ترّقّع، قادها النادل أولًا إلى المقصف حيث نظرتا في قائمة الطعام ثم امرتا بما تريدين.

أكثر الزبائن كانوا زواجاً، وبعضهم كانوا رجال أعمال، وبعد أن أمرتا بطلباتهما، أخذتهما النادل رأساً إلى مائدتها. بعد أن جلسنا، قالت شارلوت تحدث شقيقها: «إنه لا يبدو كما كنت أتوقع تماماً.»

لَوْت سارا أساير وجدها: «لقد أحضرني توني إلى هنا في عيد زواجهما، فظلتني أنه سيعجبك، فأنا أعرف كم تحبين الأطعمة الإيطالية.»

كانتا قد تلقتا توهماً أول نوع من الطعام، عندما انحنت سارا فجأة على المائدة وقالت بصوت خافت: «لا تلتفت إلى الخلف، الآن ولكنني واثقة من أن رئيسك قد دخل لتوه.»

«رئيس؟» وكانت الشوكة تسقط من يد شارلوت. «اتعنين دانيال جفرسون؟»

نعم، على الأقل يبدو شبيهاً له، إن ثمة امرأة برفقته، إنها طولية القامة وقاسية المظهر بعض الشيء، سوداء الشعر، اثنان يجلسان إلى أحدى الموائد، اظن بإمكانك ان تنظر إلى الآن».

حدثت شارلوت نفسها بأنها لن تنظر، وإن كونه دانيال أم لا هو أمر لا يهمها على الإطلاق، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من القاء نظرة سريعة إلى حيث يجلسان، وأخذ قلبها يخفق بسرعة عندما رأت دانيال ينظر إليها مباشرة.

أدركت رأسها بسرعة، وإذا بالذعر يتملّكها وهي تتسمّع سارا تقول: «اظننا بدّ قد رآك، يبدو كانه قادم في اتجاهنا». هذه المرة لم تلتفت شارلوت، ولكنها شعرت بلحظة وصوله بالضبط عندما شعرت بالتوتر يتملّكها بعد إذ

أحسست مشاعرها بوجوده.

شارلوت، انه انت حقاً»

قدمته شارلوت إلى شقيقتها عابسة، وصرفت بأسنانها وهي تسمع شقيقتها تمزح معه بشكل صريح، وتخبره بأنها كانت رأته على شاشة التلفزيون.

قال لها معاً: «كنت أود لو دعوتكما للجلوس معنا، ولكن باتريشا ت يريد أن تتحدث معي في بعض الشؤون العملية.» لم تستطع شارلوت أن تمنع نفسها من ان ترمي بنظره ساخرة جعلته يقطب جبينه قليلاً وكأنه يريد ان يقول شيئاً، ولكنه عاد فغير رأيه.

عندما تركهما قال سارا: «آه، والآن هذا من استطيع ان أدعوه رجالاً أما المرأة التي ترافقه، فقد كانت نظراتها اليك

واحدة وإنما بي فجأة لا أهتم حتى ولو كان حطم سيارتي بالكامل».

قالت شارلوت بتعasse: «ذلك كان أمراً مختلفاً، فقد شاركك تونى مشاعرك».

«إذن، فانت تتعزفين بأنك تشعرين نحوه بشيء ما». هفت سارا بذلك ولكنها ما لبست ان اعتذر وهي ترى ما بدا على ملامح شقيقتها.

قالت لها شارلوت بتعasse: طم اعد اعرف كنه شعوري بعد الآن، كل ما اعرف هو أنتي أتمنى لو لم أعرفه... سارا... انه لا يثق بي، ولا يهتم بأي شيء آخر. انه يظنني فاشلة وهو على صواب».

قطعتها شقيقتها بفجأة: طم يظهر عليه انه يظنك فاشلة عندما جاء ليتحدث إلينا الآن».

قالت شارلوت مكشورة: «ليتحدث إلينا؟ انه كان يوجه الحديث اليك وليس إليّ».

«ولكنه كان ينظر اليه انت».

«اسمعي، لا أريد ان اتحدث عن ذلك، هل لنا ان نغير الموضوع من فضلك؟»

أجبت سارا بوجه رزين: «فليكن، اذا كان هذا ما تريدينـه، ما الذي تحبين ان تتحدث عنه؟ ان لدى والدنا أملاً كبيراً في يأخذ الجائزة الأولى في المعرض المحلى هذا الصيف. أنا شخصياً أظن بإمكانه أن يدخل الكثير من المناسفات، فالسيد تورنوكروفت العجوز...»

قطعتها شارلوت: «لا بأس، لا بأس، ولكن لا فائدة من الحديث عن دانيال، يا سارا، لا فائدة من ذلك، فالامر لا

قطعن الخناجر عندما كان واقفاً هنا، قد يتصور هو انهم يقدان اجتماع عمل، ولكنني اشك في ان هذا هو رأيها كذلك. عليك فقط ان تتظري إلى الثوب الذي ترتديه وإلى ياقاتك المكسوقة بشكل قاضي».

لکنها قطبت جبينها وسكتت عن الكلام وهي ترى الطريقة التي كانت شارلوت تبعث فيها بطعمها: «شارلوت ما هذا؟ ما الذي حدث؟»

أجبت شارلوت: «لا شيء». ولكنها كانت تعلم انها الاشتثنـ، انها كافية، كانت شارلوت تشعر بالذنب إلى حد جعلها تعيسة، فقد كانت تعلم ان شقيقتها احضرتها إلى هنا لترفة عنها، ولكنها هي ذي ذي تصرف كطفل.

قالت تعذر لشقيقتها، مرغمة نفسها على الابتسام: «انا آسفـ يا سارا، المسألـة هي فقط... حسناً، كان يعلم انتي قائمة إلى هنا هذه الليلة، لقد دخل المكتب بينما كانت اتحدث معك في الهاتف. لماذا احضرها إلى هنا؟ الأمر يبدو وكأنـه...»

«وكانـه ماذا؟» ألمـت عليها سارـا هذا السـؤـال وقد رقت اسـرارـها فـجـأـة وهي تـمـيلـ علىـ المـائـةـ وـتـمـسـكـ بـيدـ أختـهاـ، وهي تـقـولـ بـطـفـلـ: «اتـعـلـمـينـ ماـذاـ اـظـنـ؟ـ اـظـنـكـ اـبـدـأـتـ تـقـعـينـ فيـ غـرامـهـ».

نزـعـتـ شـارـلـوـتـ يـدـهاـ منـ قـبـضـتهاـ عـلـىـ الـفـورـ،ـ وهيـ تـقـولـ:ـ «ـلاـ تـكـوـنـيـ سـخـيـقةـ،ـ فـانـاـ لـاـ أـكـادـ أـعـرـفـهـ».

«ـمـنـذـ متـىـ كـانـ لـلـزـمـنـ عـلـاقـةـ بـالـحـبـ؟ـ لـقـدـ وـقـعـتـ فـيـ غـرامـ تـونـيـ بـعـدـ لـحـظـاتـ مـنـ مـعـرـفـتـيـ بـهـ،ـ عـنـدـمـاـ كـانـ يـتـرـاجـعـ بـسـيـارـتـهـ فـاـصـطـدـمـ بـسـيـارـتـيـ،ـ ثـارـ غـضـبـيـ،ـ وـلـكـنـ عـنـدـمـاـ نـزـلـ مـنـ سـيـارـتـهـ وـتـقـدـمـ نـحـويـ لـيـعـتـنـدـ إـلـيـ،ـ أـلـقـيـتـ عـلـيـ نـظـرـةـ

«كلا، لا يمكنك القيام بعمل كهذا، ان سير المرأة وحدها في الطريق في هذا الوقت من الليل، غير آمن، ان بإمكاننا ان نحصل هاتفياً بوالدينا».

هزت شارلوت رأسها: «ان قدومهما إلى هنا سيستغرق وقتاً أطول مما لو ذهبنا إلى المحطة ورجعنا».

وأخذت شارلوت تنزل من السيارة، وهي ترتجف من البرد الذي تخال ثوبها الرقيق.

حتى انه لم يكن لديها علبة بنزين في صندوق السيارة، كانت في العادة حريصة على ان يكون خزان سيارتها مليئاً بالبنزين ولكنها تأخرت في عملها عدة امسيات، فكانت تجد محطة الوقود مغلقة، ومن ناحية أخرى كان انشغال بالها البالغ قد جعلها تنسى فقد كمية البنزين في الخزان.

كان بجانب سيارتها عدة سيارات واقفة، المفروض، انه تعود لزبائن المطعم، وعندما استدارت حول السيارة إذا بها تجمد مكانها.

كان هناك شخصان يعبران الطريق متوجهين باتجاههما وعرفتهما على الفور، كانت باتريشيا وينترز تسير شبه ملائكة لدانيال وهي تتكلم معه.

ظلت شارلوت في البداية انه لم يرها، ولكنه وقف فجأة وترك باتريشيا متقدماً نحوهما.

ثم سالها قائلاً: «هل كل شيء على ما يرام؟»

كان أول ما خطر لشارلوت ان تذكر ما حدث، ولكن سارا كانت أسرع منها وهي تقول لدانيال بأسف: «يبدو ان السيارة خالية من البنزين».

قالت شارلوت: «لا بأس في ذلك، فقد كنت على وشك

رجاء فيه». وابتسمت لشقيقتها بكتابية، «أنتي اعلم ان قصتك حسن، ولكن الحديث عن ذلك لا جدوى من ورائي، ان افضل شيء بالنسبة إليّ هو ان اتوقف عن التفكير فيه، فلا استمر في تركيز ذهني عليه».

أخذتا بقية الوقت تشرثان في مواضيع مألوفة عن شؤون الأسرة، أولاد سارا، وعن طفولتها معاً، ولكن شهية شارلوت كانت قليلة بالنسبة للطعام الفاخر، إذ كانت تعبث به في أنحاء الطبق، ما يبعث الضيق في نفس النادر.

منذ اللحظة التي رأت فيها دانيال مع باتريشيا، كان كل ما أرادته هو الاختفاء، ولكن الكبيرة جعلتها تبقى عند مائتها، لم تكن تريده ان يرى مبلغ تأثيرها عليها، ومع ذلك فقد شعرت بالارتياح عندما انهت سارا فنجانها الأخير من القهوة الإيطالية، ثم أعلنت انه ربماحان وقت العودة. كان الجو في الخارج على شيء من البرودة، فكانت شارلوت مسرورة لكون السيارة قريبة، حيث انه لم تحضر معها مطفأة، فتحت بابي السيارة، ثم دخلتا. ولكن عندما ادرت المفتاح لتشغيل المحرك، رفض المحرك العمل.

سألتها سارا بقلق: «ما هذا؟ ماذا حدث؟»

فقالت شارلوت: «لا أدرى». ولكن عندما ألقت نظرة على المؤشر، غاص قلبها.

ثم قالت لشقيقتها بصوت فاتر: «لقد فرغ البنزين». «ماذا؟ آه، كلا، ان اقرب محطة بنزين إلى هنا تبعد ميلين سيراً على الاقدام».

فقالت شارلوت: «نعم، اعلم هذا، امكثي هنا وساذهب أنا...»

الذهاب إلى المحطة لاحضار ذلك». أسرعت شارلوت بهذا القول وهي ترى دانيال يقطب جبينه وهو ينظر إليها، ثم قال بحزن: «لا يمكنك ان تتعللي هذا، فهذا خطر جداً، اسمعي لماذا لا أوصلكما انتما الاشتثنين؟ ان هذا هو الأنسب كما يبدو، واظن سيارتكم ستكون بأمان تمام هنا، يا شارلوت، إذا انت اقفلتها».

أخذت شارلوت تقول: «الازوم لهذا». ولكن سارا سارعت تسبقها بالردد مرة أخرى، وهي تبتسم لدانيال بحرارة: «شكراً لك هذه شهامة كبيرة منك». وهكذا لم يكن لدى شارلوت من خير سوى أن تقلل السيارة ومن ثم تسير المراتن مع دانيال إلى سيارته. لم يكن يقود سيارة عمته هذه المرة، ولكن سيارة مرسيدس صالون صغيرة.

ومن نظرة من شارلوت إلى وجه باتريشيا، رأت مبلغ ثورتها الغاضبة، وهي تقول بعد ان أوضحت لها دانيال ما حدث: «كيف يبلغ الغباء بعض الناس إلى حد يسمع بأن تفرغ سيارته من البنزين؟»

قال دانيال بعنونة: «هذا يحدث بسهولة، فقد حدث معني أنا نفسني، مرتين. هيا، فلندخل السيارة، فالجو بارد هنا». ثم فتح الأبواب وتقدم بخفة نحو شارلوت وهو يفتح لها الباب لتدخل وذلك بشكل جعل فيه جسمه يحميها من الهواء البارد. لم يفعل ذلك متعمداً بالطبع، وإنما كان فقط يفتح باب السيارة، ولكنها مع ذلك شعرت بهذه اللحظات القليلة التي نجت فيها من البرد، شعرت وكأنها تسبح في مشاعر دافئة للغاية. كان دانيال يسأل سارا بالضيبيط أين تريدين ان ينزلهما،

وعندما أخبرته قال: «سانزلكما إذن بعد باتريشيا، حيث ان منزلها هو الأقرب».

وفي الظلام في المقعد الخلفي من المرسيديس، ضغطت سارا يد شارلوت بشكل ذي معنى، فانتبهت شارلوت من هيئة رئيس باتريشيا الغاضبة انها كانت بعيدة عن السرور لاقتراب دانيال هذا.

وكما كانت شارلوت توقعت، كان منزل باتريشيا بالغ الاتساع، كما كانت مقدمته تسبح في الأنوار وهو يصعدون الطريق إليه.

عندما أوقف السيارة، قالت باتريشيا له بلهجة لاذعة للغاية: «أرجو لك على الأقل سترافقني إلى الباب». فقال بحرارة: «طبعاً». وبينما انتظرت سارا وشارلوت في السيارة وقف هو عند الباب يتحدث مع باتريشيا قليلاً قبل ان تتوارى في الداخل.

قالت سارا لشارلوت وهم ينتظران عودة دانيال إلى السيارة: «حسناً، تلك امرأة لم تسر هاقطنه نهاية الأمسية هذه». لم يكن بقي للوصول إلى منزل والدي شارلوت سوى عدة أميال، ولكنها رحلة بدأ في نظر شارلوت بطول الأبدية، لقد اكتشفت عندما وقفت السيارة أخيراً أمام منزل والديها، أنها كانت من القوت، بحيث أخذت عضلاتها تو لمها.

كانت سارا هي التي شكرت دانيال لشهادته هذه، ذلك أن شارلوت لم تستطع ان تحمل نفسها على النظر إليه. آية امرأة غبية سيرها، بالرغم مما قاله عن ان من الممكن لأي شخص ان ينفذ الوقود لديه كان عملها هذا بالغ الغباء، ولكن الذي اخافها اكثر من أي شيء آخر، هو كم اظهر هذا مبلغ ضعف

التركيز لديها، ماذالو انها اقتربت نفس الغلطة اثناء عملها؟ ماذالو انها نسيت أو تجاوزت شيئاً هاماً في احدى القضايا؟ ارتجفت لهذه الفكرة، ما جعل دانيال يقول لها بشيء من الخشونة: «انك تشعرين بالبرد، وكان عليك ان تحضري معطفاً معك، حسناً لا تهتمي بالحضور إلى العمل في الوقت المحدد غداً اذا انت تأخرت بإحضار سيارتك.»

\*\*\*

قالت سارا تُؤنِّب شارلوت برفق عندما أصبحتَا داخل البيت: «حتى انك لم تشكريه، فهو كان يال الشهامة معنا.» منحتها شارلوت بابتسمة باهتة، بينما تابعت سارا قول: «ثم لماذا كل هذا الكلام عن عدم ثقته بك أو رضاه عنك؟ لقد بدا لي طوال الوقت بالغ الاهتمام بك وهو يزعج نفسه لأجلك، كان واضحًا ان باتريشيا ويتز لم تكن مسؤولة على الاطلاق لافساد سهرتها معه بوجودنا.» فقالت شارلوت بفتور: «انها طبيعته كذلك، وهذا لا يعني شيئاً.»

رفعت سارا حاجبيها: «أحقاً؟ عدما ارتجفت، خيل إلى لحثنة انه سيخلع سترته ويلفك بها.» فاحمر وجه شارلوت وانتقلت بضيق من قدم لأخرى، وهي تقول: «لا تكوني حمقاء فانت دوماً صاحبة مخيلة خصبة.» «اتظنين ذلك؟ اظننك من الانفاس في الأسى على نفسك، بحيث لا تريدين ان ترى الحقيقة.» فقالت شارلوت غاضبة: «هل لأنه كان مهذباً؟ وماذا في ذلك، انه كما سبق وخبرتك، هذه هي طبيعة فيه.»

«كماترين». قال سارا اذلک، ولكن شارلوت رأت انهالم تقتعن. قالت سارا متأملة: «من المؤسف اتنى كنت معك طوال الوقت، وإلا كان انفرد بك ثم...» «سارا، أرجوك، لا أريد...» جعل سارا جعل العذاب الذي بدا في صوت شارلوت، جعل سارا تسكّت وهي تنظر إلى شقيقها باهتمام: «انني آسفة، لم اكن أعني... انك مغفرة به، أليس كذلك؟» «كلا، كلا، طبعاً لا.» قالت شارلوت ذلك مستنكرة، ولكن لهجتها كانت غير واثقة ولا مقنعة حتى في اذنها هي. بعد ان مضي موعد نومها بوقت طويل، كانت ماتزال مستيقظة في فرشها محاولة ان تتخلص من هذا التوتر في مشاعرها. كيف امكن ان تقع في غرام دانيال؟ كان هذا مستحيلاً... ومحماقة بالغة. دفعت وجهها في وساحتها، محاولة ان تخنق آهه الاحتجاج التي صدرت عنها. لا يمكنها ان تحبه، يجب ان لا تحبه، ولكنها وهي مستلقية هناك، وقد احرمت عيناهما الكثرة ما ذرفت من دموع، ادركت انها تحبه.

## الفصل السادس

لم يكن دانيال يثق في حكمها... وكان هذا ما تعرفه شارلوت، ولكنها مع مرور الأيام، اخذت تسأله عما إذا كانت سارا على صواب وعما إذا كانت هي قد سمحت للشكوك وقلة الثقة بالنفس الناتجة عن فشلها في المحاماة يؤثر عليها، لأن اسئلة دانيال لها عن آرائها في مختلف نواحي قضياءه، استئنفه تلك قد اخذت تزداد، كما اخذ يشركها في إجراء المقابلات لمباباته، وذلك قوياً المكتب، وحين يكون عليه ان يزور زبائنه، حتى انه اخذ يمدحها للعمل الذي قامت به في تنظيم قضية أحد زبائنه، قائلاً لها انها لمست في تلك القضية ناحية بالغة الأهمية كانت قد حيرته زماناً.

تعودت شارلوت على رؤيتها يقف بجانبها عند المكتب وهو يحنى عليها ليرى ماذما تفعل، وبينما كانت تراه في البداية وكانت يراقبها غير واثق بها، ابتدأت رؤيتها بذلك الآن على ضوء قبول صادق لل نقاط التي كانت تقدمها.

في عصر احد الأيام عندما كانت تشرح له بحماسة، سابقة غير معروفة تماماً شاعرة بأنها قد تقوى من قضية كان مشكوكاً في أمرها، وإذا به فجأة ينظر إليها باسمها، وهو يقول برقه بالغة: «يا للعاطفة المشبوهة انتي أكاد اتمنى...»

اما ما كان يتمناه فلم يخبرها به قط، ذلك لأن آن دخلت

مسرعة إلى مكتبه لتخبره بأن زبوناً قد جاء بشكل غير متوقع وهو في غرفة الاستقبال، وكان دانيال ما يزال معه عندما انتهت دوام العمل وذهب إلى بيتها.

قالت لها سارا أثناء العطلة الأسبوعية: «لقد أصبحت أكثر بشاشة بكثير من السابق». وكانت قد جاءت مع ولديها اللذين كانا في الحديقة يساعدان جدهما، بينما كانت سارا وشارلوت والدتهما يجهزون الغداء.

«لا اظن لذلك علاقة بذلك المحامي الجذاب الذي نعرفه، نحن الاشتتين أليس كذلك؟»

ضحكـتـ شـارـلـوتـ وـكـنـهاـ رـفـضـتـ انـ تـجـبـ،ـ لـقـدـ كـانـتـ مشـاعـرـهاـ مـاـتـرـالـ اـكـثـرـ حـدـاثـةـ وـرـقـةـ مـنـ اـنـ تـتـحدـثـ بـهـ لـأـيـ شخصـ،ـ وـبـجـانـبـ نـكـلـ دـانـيـالـ لـمـ يـقـلـ اوـ يـفـعـلـ مـاـ يـدـلـ علىـ اـنـ لـهـ عـلـيـهـ نـفـسـ التـأـثـيرـ الذـيـ لـهـ عـلـيـهـ هـذـاـ اـذـاـ اـسـتـثـنـ طـرـيـقـ اـبـتـسـامـتـ لـهـ،ـ اوـ الرـقـةـ الزـانـةـ فـيـ عـيـنـيـهـ وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ.

كان تأثير دانيال عليها يفوق كثيراً تأثير بيفان، وشعرت بالارتباك لاتجاه افكارها، لم يكن ثمة جدوى من ان تذكر انها كانت تمض معظم اوقاتها في احلام اليقظة عن دانيال.

\*\*\*

كانت العطلة الأسبوعية تلك سعيدة للغاية وشارلوت تشعر بالارتياح والسرور من نفسها ومن العالم اجمع، كما لم تشعر منذ مدة طويلة، ولم تعرف مقدار التك الذي كانت سببته لحياة الآخرين كما سببته لنفسها، إلا بعد ان سمعت

والدتها تقول وهي تراها تلعب مع ابني شقيقتها انها لم ترها تضحك منذ وقت طويل، فقالت تعترض: «انتي آسفة يا والدتي، لقد كنت صعبة المعاشر مؤخرأً، أليس كذلك؟» فقالت لها والدتها بطف: «لقد كان لديك سبب وجيه يجعلك تنسه». «

وفي طريقها إلى عملها صباح الاثنين، لم تكن شارلوت تشعر بالسعادة والرضا فقط، وإنما كانت تتطلع بلهفة إلى الوصول إلى العمل، كذلك وليس فقط لأنها أصبحت تعرف موقع قدميها، ما جعلها تستمتع بالعمل، حتى ثيابها التي كانت تشعر بالضيق واليأس، لم تعد تضيق وكأنها في غير مكانها، كما كان الأمر سابقاً، وعندما صقر لها رجل بعد أن أوقفت سيارتها وسارط نحو المكتب، بدلاً من ان تشعر بالإستياء والضيق، نظرت حولها ثم ضحكت شاعرة بالتكهه وهي تراه يحمر خجلاً بينما رفيقه يغطيه، قالت لها آن عندما رأتها: «انك مرحة هذا الصباح..».

فأجابتها تسالها: «هل استمتعت بعطلك الأسبوعية؟» تنهدت آن: «كلا، ان الطفل يرفس في بطني وكان له أربع سiquan وليس الثنتين، وزوجي يشكو من انتي جعلته مستيقظاً طوال الليلة الماضية، لقد شعرت بالارتياح تقريباً عندما جئت للعمل هذا الصباح..».

فابتسمت شارلوت بعطف، ان آن تبدو متعبة فعلاً كما ان حملها قد تقدم كثيراً الآن.

وابتاع آن تقول: «اتمنى لو ان مثل هذا المرح ينتقل إلى، لقد رأيت دانيال منذ دقائق وكان مليئاً ببهجة الربيع وهو أيضاً... انتما الاثنين وضعتما شيئاً في قهوتكما؟»

كانت آن تشرب الشاي لأجل الطفل، وضحك شارلوت ولكنها هزت رأسها لتدع شعرها يغطي احمرار وجهها. انشغل دانيال هذا الصباح بمواعيد متعددة، وقبل الغداء بالضبط جاء إلى مكتب شارلوت ليخبرها بأن احدى قضائيه قد قدمت على غيرها بشكل غير متوقع وهذا يستدعي وجوده في المحكمة بقية هذا النهار.

كانت تراجع بعض الأمور عندما دخل، وعندما نظرت إليه احمر وجهها وهي تنظر إلى الطريقة التي كان بها معن النظر إليها. أخذ قلبها يخفق كما شعرت بدور خفيف، هذا إلى شعور بالغ بالسعادة افتر له ثغره عن ابتسامة حارة.

قال لها: «كنت مصمماً على ان نتناول الغداء معآً هذا النهار.» وعندما قفز قلبها إثارة اضاف يقول: «هناك عدة قضائي أريد مناقشتها معك حيث ان المحاكمات سيسجنن موعدها بسرعة، ويبدو اثنان نجد وقتاً كافياً لها هنا.» ونظر إلى ساعته: «ولكن لن يكون لدينا وقت لسوء الحظ.»

أومأت شارلوت برأسها دون ان تستطيع الكلام، بينما تابع هو فسألها بشكل غير متوقع: «انك سعيدة هنا يا شارلوت، أليس كذلك؟» «فأوامات مرة أخرى، فتابع يقول: «هذا حسن، لأنني لا أريد ان أخسرك.»

نظرت شارلوت إليه، غير قادرة على ستر عواطفها، بينما تابع هو يقول: «انك ذات قيمة بالغة للشركة.» أخذ الاحمرار يتغابق في وجهها، لقد تملكتها ذهول بالغ لمديحه غير العادي هذا، ما جعلها لا تستطيع قول أي شيء،

«شارلوت انك تأخرت في العمل..»

بعد خروجه بوقت طويل، لم تستطع ان تفعل شيئاً سوى الجلوس في كرسيها والتحديق في الجدار بعينين لا تريان، بينما صدى كلماته لا تبارح ذهنها. انه لا يريد ان يخسرها، وهو يراها ذات قيمة، وفجأة، شعرت بأن لا شيء هناك لا يمكنها القيام به، ولا هدف لا يمكنها نيله، ومضى عليها الوقت مزيناً من السعادة وأحلام اليقظة، لتنكشف فجأة ان الساعة قد اقتربت من الرابعة والنصف دون ان تتجز شيئاً طوال عصر ذلك اليوم. قالت تخطاب نفسها بأنها ذات قيمة بالغة حقاً، وهي تتصل هاتفياً بوالدتها لتخبرها بأنها ستتأخر في العمل هذا المساء، لم تكن تلاحظ خروج الآخرين بعد انتهاء الدوام، لشدة استقرارها في العمل الذي امامها، ولكن يدها كانت تهتز وهي تكتب ملاحظاتها ثم تبدأ التحديق في الفراغ مفكرة في دانيال وما قال لهما.

عند السابعة والنصف، اخذت تحرك اصابيعها المتورطة قبل ان تنهض لتصنع لنفسها فنجان قهوة، ثم تراجع ما كتبت خلال نصف ساعة.

جلست إلى مكتبهما ثم قطبت جبينها وهي تراجع ما كانت كتبت من ملاحظات، كانت قضية معقدة وتتطلب كثيراً من البحث، ولم يكن هناك ما عليها ان تقوله هذا المساء اكثر مما فعلت، فأراحت ظهرها إلى الخلف واخذت ترشف قهوتها، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة.

اغضبت عينيها وهي تتنكر كيف انها أصبحت مؤخراً، تجلس بهذا الشكل مرات كثيرة بينما دانيال يقف خلفها.

فتحت عينيها وDaniyal يدخل الغرفة، ثم يلقي بحقيقة إلى الأرض ويخلع معطفه ليلتقي به على كرسي. أخذ يقول وهو يرخي رباط عنقه: «إن قضية ايسوم قد تراجلت، فالقضية التي قبلها بدا انها معقدة أكثر مما كان متوقعاً، لقد بقى طوال بعد الظهر متسلكاً حول المحكمة... ما الذي تشغلين به؟» وتقدم نحوها يقف خلفها كعادته. عبس وهو يرى الاسم على الملف: «لا شك ان شمة اهتماماً كبيراً صدر عن مدير العمل، ولكنني لا أرى كيف يمكننا ان نبرهن على ذلك، فالرجل يعمل بمفرده، كما انه لا يوجد شهود، ومدير العمل يدعى بان من عادته دوماً انه لا يستعمل الحاجز الواقع للملكيات، وبينك يكون هو في الواقع مسؤولاً عما لاحقه من ضرر.»

قالت موافقة: «اعلم هذا، ان موكلنا يدعى ان العادة هناك عدم استعمال الحاجز الواقع للملكيات.»

«نعم، ولكن ليس بإمكاننا اثبات ذلك.»

«انه يذكر في ادعائه ان هذه العادة مستعملة منذ وقت طويل جداً وان الرجل الذي كان استلم منه العمل قد نبهه إلى ذلك.»

قال لاوياً شفتيه: «نعم، ولكنه مات منذ تلك الحين فلم يعد بإمكاننا اتخاذ إشارة شاهداً.»

«هذا صحيح، ولكن اذا كان قد تعرض لأي اصابات اثناء العمل فلا بد انها مدونة في سجله الصحي... فلو كان موته قد حدثمنذ وقت قريب نوعاً ما، فلا بد ان سجله ما زال موجوداً.»

قال Daniyal: «هذا يستوجب احتمالات كثيرة، ولكن الحق معك، فالامر يستحق البحث والتحقيق.»

حاولت جهدها ان تتنطق باسمه بعدم اهتمام، وكانتناول العشاء معه هو شيء غير مهم على الاطلاق، ولكنها ادركت ان والدتها لم تندفع، فقد تهدج صوتها قليلاً، ما فضح مشاعرها، كما ادركت ان تحت زينة وجهها كانت وجنتها تتوجهان كلاميذة مدرسة ارتكبت ذنبًا.

ولكن لباقة والدتها جعلتها لا تعلق على الأمر بغير سؤالها عما اذا كانت ستأتي إلى البيت لتغيير ملابسها أولاً، ام انها سيدهبان من المكتب مباشرة...

قالت شارلوت انها غير واثقة، كانت ترجو لو تأتي إلى هنا أولاً فتقتبس وتغير ملابس المكتب... وربما ترتدي الثوب الأسود الذي كانت خرجت به مع سارا لتناول العشاء... كذلك من الأفضل لو تمكنت من غسل شعرها كذلك، وقد تضع في ماء الاغتسال عطر الحمام الغالي الثمن الذي

كانت سارا وزوجها قدماه هدية لها يوم العيد.

ارتجلت قليلاً، وهي تفكّر في الطريق الخطير الذي تقودها افكارها إليه.

عندما كانت في الجامعة، ظلت نفسها مرة انها مغرمة بأحد زملائها، ولكن مشاعرها نحوه لم تكن بمثيل حدتها نحو دانيال.

تملكتها الأرق الليلة الماضية وهي تفكّر في دانيال، وكان هذا شيئاً جديداً عليها رغم انها كانت مخطوبة، ولكن بيفان لم يجعل قط خفقات قلبها تتسارع لنظراته، كما هو الحال مع دانيال، لا بد ان دانيال لديه نحوها بعض المشاعر هو الآخر، وإلا لما دعاها إلى الخروج معه. عندما ذهبت إلى العمل، كان قلبها يغنى، ومع انها كانت

قالت بانفعال: «هذا ما اظنه، لأننا اذا استطعنا..» وسكتت فجأة.

ذلك ان دانيال كان ينظر إليها بطريقة جعلتها تنسى كل شيء عن العمل.

إتسعت عيناهما وعيناهما تلتهمان تقاطيع وجهها، ثم تستقران في عينيها، شعرت بخفقات قلبها تتسارع، ما ازعها وجعلها تشعر بالدوار.

قال بهدوء: «لقد كنت افكر بك طوال العصر... و...» وقطع كلامه صوت ارتداد سيارة في الشارع إلى الخلف، فأ JACK

ثم قال لها هامساً: «لشد ما أرغم في دعوتك الليلة إلى تناول العشاء، ولكن لدى اجتماع هذا المساء لا يمكنني الفكاك منه، تعشي معي مساء الغد، يا شارلوت.»

فأومأت دون كلام، دون ان تجرؤ على النظر اليه، ذلك ان مشاعرها نحوه اشاعت الاضطراب في نفسها، لم يسبق ان تملكتها مثل هذه المشاعر من قبل.

وفي طريقها إلى البيت، حاولت ان تحلل ما حدث، ولكن ذلك كان مستحيلاً، مساء الغد ستتعشى معه... وارتجلت وهي تتنكر نظراته إليها، وصوته الهماس الجياش بالمشاعر.

...

قالت شارلوت لو والدتها بلهجة حاولت ان يجعلها عادية قدر امكانها، بينما كانتا تتناولان الافطار: «لن اتعشى هنا هذه الليلة، انتي سأتعشى مع... مع دانيال.»

عندما عادت إلى مكتبتها، أخذت تمضغ شفتها بذهن غائب، كل ما عرفته عن دانيال، منذ عملها معه أنها باتت ليس من ذلك النوع من الرجال الذي يقوم بأي عمل دون أن يكون مخلصاً فيه للغاية.

انه بعيد عن ان يكون كما تصورته في البداية، ذلك الشخص النهم إلى الدعاية الصحفية، ذلك انه من الاستقامة، بحيث ارغمتها هي على الاعتراف بذلك.

لقد كانت رأت تلك الاستقامة فيه حتى عندما كانت ماتزال مليئة بالاستياء المر منه... وجدت نفسها مرغمة على الاعتراف بها حتى عندما أخذت تشكو متالمة من حكمه على فشلها في مهنتها.

ولكنها الآن تغلبت على ذلك الاستياء لانه ابتدأ يظهر انه لا بد غير رأيه فيها، لقد ابتدأ يثق بها، مهنياً، حتى انه اخبرها بأنه يعتبرها بمثابة زميلة له، كما ان عينيه لخبرتها بأنه يريد لها بصفتها امرأة... وتنفست بعمق.

ومن النافذة رأت باتريشيا تعبير الشارع، وعندما وصلت إلى الرصيف الآخر كان رجل مار وقف يتحدث اليها، كان طويلاً القامة أشيب الشعر، وكان واضحاً من التعبير الذي بدا على وجه باتريشيا انه قال لها ما اثار زهوها، ثم سار معها، والرجل يستمع بانتباها إلى ما كانت تقوله له.

عادت شارلوت بانتباها إلى مكتبتها، كان آخر ما تفكّر بالقيام به هو العمل، ولكنها مالت اذ خاطبت نفسها قائلة، انك بحاجة يا فتاتي، إلى تأديب فانت لست هنا لكي تمضى الوقت تحلمين بدانيل.

ولكن هذا كان بالضبط ما كانت تقوم به، فقد أدركت ذلك،

تلحم ان دانيال سيمضي في المحكمة معظم النهار، إلا ان البهجة ما زالت تغمر قلبها وهي ترتقي السلم إلى المبنى. ستسهر معه هذه الليلة، هذه الليلة... ولكن هذا سيكون بعد ساعات طويلة... وعندما دخلت مكتبتها، نظرت باسف إلى الباب الموصل بين المكتبين، ثم وبداعم لم تستطع مقاومته، نفذت منه إلى مكتب دانيال.

كان مكتب خالياً منظماً، لمسته، وأخذت تمر بيدها على محتوياته وظهر كرسيه.

أغمضت عينيها وهي تنفس بعمق، واثقة من ان تحت رائحة الجلد ودهان الخشب، يمكنها ان تشم رائحة خفيفة لصابون دانيال، ولكنها عندما فتحت عينيها وأخذت تعنف نفسها لهذه التخيلات المبالغ فيها، اذا بباب المكتب يفتح فجأة، فاستدارت بسرعة ولهفة في عينيها، ولكن الواقع هناك لم يكن دانيال، بل باتريشيا وينترن.

سألتها بلهجة قاطعة: «آه، أين دانيال؟»

شعرت شارلوت بوجهها يحرر ضيقاً من سوء سلوكها، ولكنها نكرت نفسها بأن هذه المرأة هي زبونة فقلات بالطف لهجة ممكنة: «انه في المحكمة اليوم، هل يمكنني مساعدتك؟» أجابت المرأة بزدراء: «لا اظن ذلك.» ثم اندفعت خارجة من المكتب بنفس الطريقة المعنقرسة التي دخلته بها، تاركة خلفها رائحة العطر المسمى سم التقيلة.

يالله من عطر ملائم لذوقها... تمنت شارلوت بذلك بلهجة لاذعة وهي تفتح النافذة لتخلص من الرائحة، أترى بينها وبين دانيال علاقة، أم انها كما تقول جيني وأن، تلاحظ فقط؟

ربما كان من الطبيعي تماماً ان دانيال في البداية، كان المفروض ان يلاحظ عملها ولو لدمة زبانته. ربما كانت ذات حساسية زائدة عن الازوم بشعورها انه يدينهما، مقارناً نجاحه بفشلها.

لكنها ما زالت تشعر بشيء من الضيق لذك الاختلاف بينهما، ربما لم تعد تكرهه، ولكنها اذا شاعت ان تكون صادقة، فما زالت تحسده قليلاً، لم تكن تغار من نجاحهقدر ما كانت تغار من قدرته على النجاح، المهارة التي جعلت نجاحه ممكناً، تلك المهارة التي لم تكن هي تملکها. ولكنها بالثمت ان اخذت تعنف نفسها المحاولات، افساد الأمور بذكريات الماضي.

ثم اخذت تكرر هذا النفسها وهي تستعد لموعدهما الليلة، اغتسلت وتعطرت بذلك العطر الغالي الثمن، وارتدى ملابس داخلية حريرية لم تكن استعملتها بعد، ثم ارتدت ثوبها الأسود والذي كانت تشعر فيه بالارتياح وثقة بالنفس كانت تعلم ان ملابسها الأخرى لن توفر لها ذلك.

كانت في الطابق الأعلى عندما سمعت سيارته تقف امام الباب، نظرت في المرأة بسرعة تطمئن إلى مظهرها، اتراء سيعلم، كما تعلم، ان التوتر هو الذي صبغ وجنتيها بهذا الاحمرار؟ ونظرت إلى شفتها... اترتها اسرفت في وضع اللون الأحمر عليهما؟

سمعته يقرع جرس الباب، ووالدتها تذهب لتجيب فادركت ان الوقت قد حان لكي تنزل. كان عليها طبعاً ان تقدمه إلى والديها والذين لاحظت انه اعجبهما، هما الاثنين، على الفور.

شاعرة بالذنب، بعد ساعة عندما ابتعدت افكارها عن عملها للمرة الثالثة لكي تفك حالمه في نظرات دانيال اليها مساء أمس... اجلقت شاعرة بالذنب عندما رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة.

«شارلوت...» فأجلقت مجدداً وهي تسمع صوت دانيال: «اسمعي ليس لدى ما يكفي من الوقت، أريد فقط ان اتأكد من ان موعدنا ما يزال قائماً لهذا المساء، يبدو انتي لن تستطيع العودة إلى المكتب ولهذا مارأيك في ان أمر عليك في البيت، وذلك حوالي السابعة والنصف، لقد حجزت مائدة في مطعم جديد افتتح حديثاً.»

نعم، السابعة والنصف وقت مناسب تماماً.»

«حسناً إلى اللقاء.» ثم وضع السماعة، لحسن الحظ كان العمل بقية النهار من الكثرة بحيث لم تجد وقتاً تحلم فيه بDaniyal، ولكن عند الساعة الخامسة تماماً، حين كانت على وشك مغادرة المكتب، دخل Rynthia إلى مكتبه يسألها ان كانت استقرت الآن وعما اذا كانت سعيدة. اخبرته بانها كذلك، شاعرة بالارتياح عندما قال انه لا يستطيع الجلوس للتحدث اليها لأن زوجته قد اقامت حفلة لبعض الاصدقاء. ولكنها وهي في سيارتها متوجهة إلى البيت، ادركت ان جوابها لريتيشارد، لو كان القى عليها هذا السؤال في الأسبوع الأول من عملها معهم، جوابها كان سيبدو مختلفاً تماماً.

ربما سارا كانت على حق... ربما كان هي مستقرفة بالأسى على نفسها، ما جعلها تخطئ في فهم الميلولات... اجلقت شاعرة بالذنب عندما رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة.

كان يقود سيارته الجاغوار، وعندما فتح الباب لها، شعرت بالسعادة التي كانت تغلي في اعماقها طوال النهار، شعرت بها تقipis من ابتسامتها المشرقة.

قال لها وهو يتحرك بالسيارة: «انتي لم اتناول الطعام في هذا المطعم الجديد من قبل، ولكنني سمعت الكثير عنه». فسألته: «كم يبعد عن هنا؟»

أخبرها عن المسافة وهو يشرح لها انه كان اصلاً من لا ريفياً يقرب النهر، وهو الآن قد جدد وحول إلى مطعم. «وعندما بيع المكان قمنا نحن بنقل الملكة، وكان هناك بعض التعقيدات بالنسبة إلى تغيير نوع الاستعمال وعلى كل حال فقد حصلوا على ما يريدون في النهاية». لكي يصلا إلى المطعم كان عليهما ان يسلكا الطريق الرئيسي ومنه إلى طريق ضيق من صوف بالحصى.

كان النساء مغموراً بالأضواء، وكذلك مقدمة المبني وكان هذا قدماً جداً، منخفضاً مستطيل الشكل، ذا نوافذ صغيرة، واستطاعت شارلوت ان تميز معالم الأفينة والمرمرات المؤدية إلى جوانب المبني الذي كما اخبرها دانيال، يؤدي إلى النهر، كما كانت هناك شرفة حجرية خلف المبني كانت تستعمل لحقنات الغداء في الصيف.

حين وصلنا إلى المبني، اعترفت لنفسها بأن كل ما كانت تريده، في الحقيقة هذا المساء هو فقط ان تكون مع دانيال، ولو انه استدار إليها الآن وقال: «دعينا ننسى أمر الطعام». لما اعترضت أبداً، بل على العكس.

عندما فتح دانيال الباب اخترت هممة الأصوات في الداخل، روعة السكون في الخارج.

وسراها ان ترى ان تجديد المنزل والديكور قد يقى في غاية البساطة.

رأى ان هناك من تكلف كثيراً من العناء لكي يوجد الجو الأصيل للمكان، مزيجاً برفاهاية عصرية معقولة.

كان واضحأ ان في المبنى تدفئة مرکزية، ولكن أجهزة التدفئة كانت مستورة عن الأنظار.

كما كانت الأرض الحجرية مغطاة بسجادات سميكه.

سألها عندما اصبحا في الداخل: «ما رأيك؟»

فقالت باسمة: «لقد احببته». ولكن ابتسامتها بهت للطريق التي كان ينظر فيها اليها.

لم تذكر شارلوت فيما بعد، ما كانا طلباه من طعام، فهي لم تكن منحت قائمة الطعام الحافلة ما كانت تستحقه من اهتمام، وعندما جلست هي وDaniyal إلى المائدة، لم يكن الطعام يأخذ شيئاً من اهتمامها.

كان حديثهما سطحياً عادياً، وبالنسبة اليها كان مجرد ستر لما كانت تشعر به، وهي تتأمل Daniyal وهو يتحدث اليها، كيف حدث انها لم تدرك قط، من قبل ان مجرد اشیاء بسيطة في انسان آخر، يمكن ان يكون لها مثل هذا التأثير على حاسيس انسان آخر؟

فقط طريقة تحريك Daniyal لبيه مثلاً... طريقة ابتسامته الطريقة التي كانت عيناه تلتقيان بها بعينيها، طريقة جلوسه... كل شيء فيه كان يؤثر فيها بشكل بلغ من القوة انه كان بإمكانها ان تجلس ساعات لا تمل من النظر اليه.

عندما أخذت تستمع اليه ادركت مبلغ التأثير الذي تركته

به نحوه، سترف مثل هذه المشاعر يوماً ما، ذلك ان بيفان والذى كانت سعيدة بالتفكير في انها سيتزوجان في النهاية، بيفان ذلك لم يحدث ان جعلها قط تعرف مشاعر مثل هذه.

ارتشفت قهوتها وهي تنظر إلى دانيال يضع الزبدة على البسكويت، كانت اصابعه طويلة رشيقه وحركاته متزنة حاذقة، وعندما وضعت فنجانها من يدها المرتجفة، تحرك في صحنه محدثاً قرقعة خفيفة.

رفع دانيال بصره إليها، ثم أزاح صحنه جانباً دون أن يمس البسكويت وهو يقول لها بصوت مفعم بالمشاعر: «اطن ان الورق قد حان لكي نذهب».

رغم ان شارلوت كانت تنتظر هذه اللحظة طوال المساء، إلا ان التوتر تملكتها ولم تستطع ان تتكلم بينما نهض دانيال واقفاً.

نور

عمته في حياته، حتى أنها كانت تحسدتها على الحب الذي يبدو انه كان يكتن لها.

وعندما أخذ يصف لها كيف أنشأت عمته مكتب محاماة خاصاً بها بعد ان رفضت الاشتراك مع أي من مكاتب المحاماة المحلية، قالت له: «لا بد ان من الرائع ان يكون للشخص مثل هذه الثقة بالنفس».

«آه، لا اظن ان هذا كان يتعلق بالثقة بالنفس، بقدر ما كان راجعاً للضرورة القصوى، فقد كانت تدرك أنها اذا لم تجد طريقة لمزاولة المحاماة، والاستقبال عن والديها فستعود برمغها إلى طراز الحياة التي كانا يريدانها لها».  
«لا يستطيع احد في هذه الأيام ان يصدق ان امرأة، امرأة بالغة ناضجة، يمكن ان تحد اهتماماتها بهذا الشكل».

فقال: «نعم، انتا ننسى احياناً كم تغيرت الأمور بالنسبة إلى هذا القرن، وكم من الأمور المسلم بها في نظرنا الآن، لم يكونوا يستطيعون تصوّرها في زمن الحرب العالمية الأولى... أرجو ان تكون معدتك مازالت تتسع لبعض الحلوى، ان الحلوى هنا مشهورة».

فابتسمت له شارلوت، كل ما كانت تريده الآن هو ان تكون وحدها معه، وأغمضت عينيها محاولة ان تسيطر على مشاعرها، وهي تتصور نفسها وإياه على شاطئ البحر، يغمرهما ضوء القمر.

لكنها فتحت عينيها على الفور وقد التهب وجهها لتصوراتها هذه: «لا اظنتي اريد حلوي... فقط... قهوة».  
وعندما نظرت اليه تسأله عما اذا كان يتkenن بما يدور في خلدها، وعما إذا كان يشعر نحوها بمثل ما تشعر هي

## الفصل السابع

سارت بهما السيارة عشر دقائق قبل ان تدرك شارلوت انه يأخذها إلى بيتها مباشرة. اختلط في نفسها الاضطراب وخيبة الامل، اتراءا قد أخطأه تماماً معرفة الوضع؟ هل تملكه السأم منها بهذه السرعة؟ وهل كانت هذه الأمسية مجرد ملء فراغ بالنسبة اليه؟ أبطأت السيارة فالتفتت تنظر إليه قبل ان تدرك انها وصلت إلى تقاطع الطريق، وكان هو ينظر إليها قائلاً: «اطلب تعلمين كم أرغب في إطالة هذه السهرة معك، وكم أرغب في الجلوس إليك...»

حبست شارلوت انفاسها وقد منعتها كرامتها من ان تسؤاله لماذا إذن يريد ان يأخذها الآن إلى البيت. وكان هو يتبع قائلاً: «لا تقلقي، فلن أنسد الأمور بيننا، وذلك باستعجالك اقامة علاقة معي قبل ان يعرف الوارد منا الآخر جيداً، رغم انتي متلهف إلى ذلك».

يستعجلها؟ وتسائلت عما سيقوله لو أنها تخبره بمقدار لهفتها إليه، ولكنها تعلم ان ليس بإمكانها ذلك، ليس لديها هذا النوع من الشجاعة، أو من الثقة بالنفس. سادت بينهما فترة صمت عاد بعدها يقول وهو يتباوه: «لو ان ليس لديك الكثير من العمل، حالياً. هذه شكوك كل انسان، هذه الأيام، أليس كذلك؟ فقط ليس هناك ما يكفي من الوقت». فسألته: «أهي قضية المحكمة؟»

هز رأسه: «كلا». ثم سكت وقد تاهت عيناه بعيداً عنها وقد توتر جسمه قليلاً، ثم عاد يقول مرة أخرى ببرزانة: «كلا، هنالك شيء... مشكلة أنا غير واثق من ان بإمكانني حلها، انه عن أمر معين كنت وعدت به صديقاً قديماً، وعد لا يمكنني تجاھله، ولكن في نفس الوقت...»

«هل أنت؟ هل ثمة فائدة من ان تحدثني عنه؟» ولكنه سرعان ما بدا عليه غياب الذهن تماماً، ما جعلها تشعر وكأنها أقحمت نفسها في أرض ممنوعة، وعندما نظرت إليه كان ينظر أمامه مباشرة وقد توترت شفتيه، وبدأ لشارلوت وكأنه لا يريد ان ياتئنها على سره هذا.

سمعته وقد تملكتها الألم، يعتذر إليها بقوله: «آسف، يا شارلوت». ثم اطلق شتيمة خافتة وهو يقول غاضباً: «ليس هذا ما قصدته على الاطلاق، لا شيء هناك، لا شيء أريده الآن... في هذه اللحظة أكثر من أن أبقى معك على صخور الشاطئ تلك، نستمتع بضوء القمر».

كانت شارلوت تحاول جهدها كبح الشعور بالند والتعاسة والمثير للغثيان الذي تملكتها.

كيف حدث هذا؟ كيف انهارت كل هذه المشاعر بينهما بهذه السرعة والسهولة؟ وكيف؟ ببضع كلمات... جلة أو نحوها، شعرت بدمع المرارة تتدفق من عينيها، فأخذت تغالبها وهي تعتنق نفسها لغضفعها هذا. لا بأس، ان لديه إذن مشكلة لا يستطيع الحديث معها عنها، وهذا لا يعني أنه... أنه ماذا؟ انه لا يريد لها؟ آه، كلا، فهي تعلم ذلك، تعلم انه

يتم قائلًا: «ليس الأمر كما تظنين، ليس كما تظنين على الأطلاق». ثم أضاف بصوت طبيعي وهو يحدق اليها: «لشد ما أنا بحاجة إليك».

\*\*\*

لقد جعلت نفسها تستاء دون سبب، بهذا اخذت تحدث نفسها وهي مستلقية في فراشها تلك الليلة، تستعرض احداث المساء، لقد أصبحت مرة أخرى قائمة الحساسية، باحثة عن المشاكل حيث لا توجد مشاكل، وبعد، ألم يخبرها دانيال كم هي غالبية عنده؟ لم يحدثها هذه الليلة عن مبلغ رغبتها في لها؟

نعم، انه لم يتكلم عن الحب بكلمة واحدة، ولكنها كانت تتوقع ذلك، ثم انها هي أيضاً لم تذكر ذلك، منها الاثنان من النجف بحيث لا يستعملان هذه الكلمة بسهولة وشكل رخيص، كلّا ان ما تريده منه الآن قبل ان يحدثها عن الحب، ان يخبرها بأنه كان مخطئاً في حقها، ان تسمعه يقول ان ليس لها ان تشعر بالذنب لفشلها، وان هذا يؤثر بالي شكل على قدراتها.

لوت فمهما قليلاً، لا شك ان عمتها، لو كانت موجودة، لاحترتها لهذا الضعف.

\*\*\*

عند الصباح، حدثت شارلوت نفسها بحزن ان عليها ان تضع الماضي خلفها، ثم اتجهت نحو عملها متمسكة بحزن بما كان دانيال قاله لها عن مبلغ تقديره لها، بدلاً من ان تسمح لنفسها بالعودة إلى تلك الشكوك التي عانت منها

يريدها وجداًها على الاقل، ولكنها هي تزيد منه أكثر من ذلك، انها تحبه بشكل مطلق، روحًا وجسدًا، وتريد منه ان يحبها بنفس الصفة هذه، كما انها تريده أن يثق بها أيضًا، ان يمحو جراح الشهور الماضية من نفسها، ان يشفيها بيلبس من احترامه المهني لها والثقة بها.

«الأفضل ان أوصلك إلى البيت، ان لدى اجتماعاً في التاسعة من صباح الغد». وكان صوته مر هقاً وهو يقول ذلك. فسألته بهجة اصبحت فجأة، حادة لاذعة: «لكي تتحدث عن هذا العمل السري الذي لا يمكنك التحدث به معى؟» أحست به ينظر اليها، ولكنها رفضت ان تنظر اليه: «كلا، انه ليس عن ذلك» وكان صوته كثيناً قليلاً، وشعرت ببراعم يدفعها إلى الالتفات إليه، معتبرة ان الخمس دقائق الأخيرة لم تمر قط، ولكنه كان سبق وأدار المحرك وهكذا تبدد، بالنسبة إليها، كل ما حفل به هذا المساء من سعادة وبهجة، عندما أوقف السيارة أمام منزل والديها، تردد لحظة قبل ان يقول: «آسف اذا كنت أفسدت الأمور ولكن...»

قالت له بمرارة وهي تمد يدها لفتح الباب: «لا بأس، فأنا أدرك ان بعض الأشياء يجب ان تبقى سرًا بين المحامي والزبون..»

كانت تعلم ان عليها ان تذهب بسرعة قبل ان ترتكب حماقة فتخبره كم يوّلها انه مازال لا يثق بها، واضافت تقول دون ان تنظر إليه: «وبعد بالنسبة إلى سجلي السابق بالفشل،انا محظوظة، إذ أجد وظيفة، أليس كذلك؟ لا بأس...»

شهقت وقد تملكتها صدمة وهي تراه يقبض على معصمها بعنف بالغ جعل قلبها يخفق بسرعة بالغة، وهو

كانت قد هبّت لتوها من الطابق الأعلى من مكتبة المراجع حيث كانت تراجع ذلك الملف، عندما دخلت آن المكتب وقد بدا الغضب على ملامحها.

فسألتها شارلوت: «ماذا جرى؟»  
 «انها تلك المرأة».«أية امرأة؟»

فانفجرت آن تقول: «تلك المرأة باتريشيا، كنت ذهبت لاحضر لنفسي فنجان شاي، وعندما عدت وجدتها تطوف حول مكتب دانيال، وكانت جيني حاولت ان تخبرها بأنه غير موجود. صدقيني اتنى لا ادرى لماذا يتحمّلها دانيال». فقالت شارلوت بدهشة، وان كانت شعرت بانقباض في قلبها: «حسناً انها زبونة».

«ترىدين ان تقولي انها كانت زبونة، لقد انتهتى تسلیم املاك زوجها اليها منذ اسابيع، ولكنها مازالت تأتى إلى هنا، طالبة رؤية دانيال، ثم انها لا تحاول مطلقاً اعطاء موعد صحيح، اتنا كلنا طبعاً نعرف ماذا ت يريد، ولكن الذي يحيرني هو السبب الذي يحمل دانيال على مجاراتها في ذلك، أعني انتي اعلم انها غنية ولكنني ظننت ان دانيال أحسن ذوقاً، انتي اعلم انتا جميئاً نمزح للطريقة التي تلاحمه بها، ولكن حتى وقت قريب، لم اظن قط ان بينهما أي شيء جاد».

سالتها شارلوت بهدوء بينما قلبها يخفق بعنف: «والآن، هل أصبحت تظنين ذلك؟»  
 فهزت آن كتفيها: «حسناً، وماذا يمكن ان نظن سوى ذلك؟ فكما قلت، كانت وصية بول وينترز ببساطة تماماً، كان لوينترز ابن من زوجته الأولى اسمه غوردون، وكانا على

الليلة الماضية وحيث انها كانت تعلم ان دانيال لديه موعد عند الصباح، لم تستقر غيابه.

عندما اسرعت آن اليها ببريد الصباح، قالت لها باختصار: «بالمناسبة دانيال سيتأخر هذا الصباح».

فاجابت شارلوت بلهجة آلية: «نعم، اعرف هذا». وإذ رأت آن تنظر إليها بدھشة، عادت تقول بسرعة: «انه... لقد اتصل دانيال بي هاتفيًا إلى البيت الليلة الماضية ليخبرني ان لديه اجتماعاً هذا الصباح».

«آه، لقد تساءلت كيف علمت، لأن كاتب المحكمة العليا اتصل بي أمس لينبهني إلى ان الاجتماع قد قدم موعده لأن على السيد اوليف ان يذهب إلى المحكمة.

لم يكن هناك سبب حقيقي يمنع ان من ان تعلم انها تناولت العشاء مع دانيال الليلة الماضية، كان هذا ما اخذت شارلوت تحدث به نفسها فيما بعد، ولكن هذه العلاقة الجديدة معه ومشاعرها نحوه، كل ذلك كان شيئاً جديداً تريده ان تختفظ به لنفسها، وان تجعله بمثابة سرها تكتشفه وتستمتع به على انفراد.

ذلك انها ما زالت هي نفسها غير واثقة بحدوثه... ربما انها لم تصدق بعد...

تصدق ماذا؟ ان دانيال يرحب بها؟ سالت نفسها ذلك، رافضة بحزم، العودة إلى الشنك، منكرة نفسها بأنها هذا الصباح فقط صممت على أن يكون تفكيرها إيجابياً، وأنها ستبدأ بالنظر أماماً إلى المستقبل بدلاً من التعامل مع الماضي.

اشتغلت شارلوت بجد طوال الصباح، مهنت نفسها لذكراها كل دقائق وخفايا واحدة من قضياتهم.

قالت شارلوت بابتسامة متوجرة: «نعم، إنها قضية ممتعة، ولكنني لا أظن أننا سنربحها».

علاقة حميمة ببعضهما البعض إلى أن جاءت هي، كان هو يدير الأعمال عندما تقاد بول، واظن كل شخص كان يتوقع أن يترك لغوردون أمر إدارة الأعمال تلك، ولكنه بدلاً من ذلك لم يكن له بشيء في وصيته، وكانت هناك إشاعات تقول إنه تشاجر مع بول عندما تزوج هذا باتريشيا، يا للرجال... يبدو أن ليس بإمكانهم أن يروا ما تحت أنوفهم، أليس كذلك؟ خصوصاً بالنسبة إلى أمثال باتريشيا، على كل حال، استطاعت أن تخلص منها، فأخبرتها بأن من غير المحتمل ألا يعود دانيال إلى العمل هذا النهار». ثم سالت شارلوت: «آه، كلا، وإنما اتساع فقط عما جعل دانيال يأخذ هذه القضية؟» «آه، أية قضية؟»

قالت شارلوت وهي تجاهد في جعل صوتها هادئاً: «قضية كالفيين هذه». لقد صدمتها وذكرتها تعليقات آن، من المؤكد أن دانيال ما كان ليتصرف معها بهذه الطريقة إذا كان له علاقة بأمرأة أخرى، ولكن إذا كان كلام آن صحيحاً بأن قضية تسليم الأملاك قد انتهت، لماذا مازال يسمح لها بأن تشغل هذا القدر من وقته؟

نظرت آن إلى الملف على مكتبها: «قضية كالفيين؟ آه، نعم إنها القضية التي يرفع فيها زبوننا قضية على رؤسائه في العمل لأنهم لا يساونه مع الموظفات بالنسبة إلى إجازات الولادة».

قالت شارلوت بابتسامة متوجرة: «نعم، إنها قضية ممتعة، لكنه كان خارجاً معها إلى العشاء في تلك الليلة التي

قالت آن توافقها: «هذا صحيح، ولكن دانيال معتاد على قبول قضائياً كهذه». فقالت شارلوت بجفاء: «لأجل الحصول على مزيد من الدعاية الصحفية وذيع الاسم». ألمت آن عليها نظرة متدردة، ثم هزت رأسها: «إن اهتمامه بتحقيق العدالة أكثر منه بتحصيل المال، إنك لن تصدقني عدد القضايا التي يتولاها والتي لا تنصف بالشروط القانونية، والتي يدرك سلفاً أنه لن يأخذ عليها أجراً، ولكنه دوماً يقول إن حصول الشخص على حقه العادل، هو أهم لديه من الأجر الضخم، وإن كانطبعاً تقليلاً للقضايا الهامة ذات المردود الدسم».

قالت شارلوت: «طبعاً، إن من المفترض تمويل محبة الإنسانية».

ما هذا التقلب في المشاعر الذي يمتلكها؟ مرة ترى دانيال رجالاً ملتوياً مراوغًا غير معروف الهدف، ومرة أخرى تجد نفسها مرغمة على تقدير كرمه واهتمامه بموظفيه.. رجالاً ونساء؟ خصوصاً امرأة محددة... على الأقل إذا كان ما تقوله آن صحيحاً. عندما خرجت آن ازاحت عملها جانبًا ثم سارت إلى النافذة تتضرر منها.

حدثت نفسها بأن عليها ان تذكر في الأمور منطقياً. لا بأس، ربما ملاحة باتريشيا لدانيال تشبع غروره... حتى انه ربما كان يشجعها على ذلك... وبعد فهو قد عرفها قبل ان يعرفها، هي شارلوت، وهذا لا يعني انه إذا كانت له علاقة سابقة بها، فهو ما زال على هذه العلاقة. لكنه كان خارجاً معها إلى العشاء في تلك الليلة التي

اجفلت لصوته الدافئ وهو يدخل إلى مكتبه ثم يتقدم ليقف بجانبها، إنما لم ينحن فوتها كالعادة، فنظرت إليه وقد توتر حلقها فجأة وجف فمها، هذا هو الأمر إذن، فقد جاء ليخبرها بأن خروجهما معًا ليلة أمس كان غلطة وأن.. ولكن سائلها برقة: «هل أخبرتك ليلة أمس عن مبلغ استمتعي بالوقت الذي أمضيته معك؟»

لم تستطع أن تمنع مظاهر السعادة والارتياح من أن ترتسم على ملامحها، فسألته بصوت أبي، غير قادر على قول شيء آخر: «هل سارت القضية في المحكمة على ما يرام؟» طار بحنا، وسكت لحظة ثم أضاف لا ولها شفتيه: «أظن الحق ملك، فالمكتب غير مناسب للتحدث عن الأمور الشخصية.»

وعندما رفعت اليه بصرها كان يبتسم لها، فتملكتها خاطر جنوبي لأن تخبره بشعورها نحوه، ان تخبره عن مقدار ما تشعر به من اضطراب وجرح في كرامتها، ولكنها بدلاً من ذلك سمعت نفسها تقول بصوت مرتجف: «كنت أقوم بعض المراجعات في قضية فيليدين، وأظنتني وجدت بعض الأشياء التي قد تساعدنا.» «أحقاً؟ هذا عظيم، هيأ بنا إلى مكتبي وأحضرني معك الملف، اتنا سنلتقي عليه نظرية.»

كان مكتبه أكبر كثيراً من مكتبهما، مشيراً إليها بالجلوس. كان هو يجذب كرسياً إلى جانبه، مشيراً إليها بالجلوس. عندما جلسـتـ رأـتـ مـلـفـاـ علىـ المـكـتبـ اـمـامـهـاـ،ـ ظـنـتـ فيـ الـبـادـيـةـ انـهاـ أـورـاقـ تـابـعـةـ لـلـقـضـيـةـ التـيـ كـانـ يـحـضـرـهاـ الـيـوـمـ فـيـ الـمـكـحـمـةـ،ـ ولكنـهاـ مـاـ لـبـثـتـ اـنـ اـسـمـ بـاـتـرـيـشـاـ وـيـنـتـرـزـ مـكـتـبـاـ عـلـيـهـ.ـ فـقـالـتـ رـاجـيـةـ اـنـ لـاـ يـفـضـحـ صـوـتـهاـ مـشـاعـرـهاـ:ـ لـقـدـ جـاءـ فـيـ الـسـيـدـةـ وـيـنـتـرـزـ هـذـاـ الصـبـاحـ تـسـالـ عـنـكـ.ـ

خرجت هي مع شقيقها سارا معاً، وقد قال عنها حينذاك أنها زبونة، وذلك في الوقت الذي كانت فيه علاقتها بها كمحام، اذا صدقـتـ آنـ،ـ قـدـ اـنـتـهـتـ.

لكنـهاـ ذـكـرـتـ نـفـسـهـاـ بـاـنـهـ ربـماـ يـقـومـ لـبـاـتـرـيـشـاـ بـعـملـ ذـيـ صـفـةـ مـغـاـيـرـةـ،ـ فـإـذـاـ كـانـتـ هيـ شـارـلـوـتـ مـهـمـةـ لـهـذـهـ الـدـرـجـةـ،ـ لـيـسـ عـلـيـهـ إـلـاـ أـنـ تـسـأـلـهـ،ـ وـلـكـنـهاـ كـانـتـ تـلـعـمـ اـنـهـ لـاـ تـسـتـطـعـ ذـلـكـ،ـ فـتـقـتـهـاـ بـنـفـسـهـاـ لـاـ تـؤـهـلـهـاـ لـأـنـ تـسـأـلـهـ عـنـ عـلـاقـاتـهـ السـابـقـةـ،ـ فـهـمـاـ لـمـ يـعـرـفـهـ بـعـضـهـاـ بـالـقـدـرـ الكـافـيـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـعـلـاقـتـهـاـ لـيـسـ مـسـقـرـةـ تـامـاـ،ـ وـلـكـنـ أـيـ عـلـاقـةـ؟ـ سـالـتـ نـفـسـهـاـ ذـلـكـ بـعـنـفـ،ـ رـبـماـ كـانـ فـقـطـ يـسـلـيـ نـفـسـهـاـ وـرـبـماـ كـفـىـ غـيـاءـ...ـ هـتـقـتـ بـذـلـكـ تـعـنـفـ نـفـسـهـاـ،ـ فـوـلـيـسـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الرـجـالـ.

وعـنـدـمـ جـلـسـتـ كـانـتـ تـخـفـفـ عـنـ نـفـسـهـاـ بـمـاـ تـعـرـفـ عـنـهـ،ـ وـلـكـنـ صـوـتاـ مـنـ دـاخـلـهـ كـانـ يـسـأـلـهـ سـاخـراـ عـمـاـ إـذـاـ كـانـتـ حـقـاـ تـعـرـفـهـ جـيدـاـ.

لـمـ اـعـذـبـ نـفـسـهـاـ بـهـذـهـ الشـكـوكـ؛ـ لـخـذـتـ تـعـنـفـ نـفـسـهـاـ بـغـضـبـ وـهـيـ تـعـودـ إـلـىـ عـمـلـهـ،ـ لـمـاـذـاـ لـاـ تـقـبـلـ الـأـمـرـ بـظـواـهـرـهـ؟ـ لـمـاـذـاـ تـسـمـعـ لـهـذـاـ الـاحـسـاسـ بـالـضـيقـ وـعـدـمـ الـاطـمـئـنـانـ بـاـنـ يـلـمـهـاـ؟ـ

عاد دانيال في عصر ذلك النهار، وسمعـتـ شـارـلـوـتـ وـهـيـ قـائـمـةـ مـنـ الطـابـقـ الـأـعـلـىـ،ـ وـهـوـ يـمـلـيـ عـلـىـ آـنـ.ـ سـمعـتـ يـشـكـرـ آـنـ ثـمـ يـنـفـتـحـ الـبـابـ حـينـ خـروـجـهـ،ـ فـفـكـرـتـ فـيـ الـهـوـضـ وـالـذـهـابـ إـلـىـ مـكـتـبـهـ،ـ اـنـ تـلـمـنـ نـفـسـهـ بـاـنـهـ لـمـ تـكـنـ تـلـمـنـ بـمـاـ حـدـثـ بـيـنـهـمـاـ لـلـلـيـلـةـ الـمـاضـيـةـ،ـ وـلـكـنـهـ شـعـرـتـ فـجـأـةـ بـقـلـةـ الثـقـةـ بـالـنـفـسـ إـلـزـاءـ ذـلـكـ.ـ «ـهـلـ اـنـتـ مـشـغـولـ؟ـ»

«نعم، لقد أخبرتني آن بذلك.»

كان صوت دانيال قد أصبح فجأة حاداً متوتراً، ولكنها تجاهلت ما يحمل ذلك من تحذير، فتابعت تقول: «يبدو أنها تكثر من المجيء إلى هنا، هل هناك أية مشكلة بالنسبة إلى أملاك زوجها الراحل؟»

حبست أنفاسها في انتظار جوابه، وقلبتها يخفق بعنف، معرفة ب دقائقها، ماجعلها تشعر بالاحتقار لنفسها، لما زاتحاول إيقاعه بهذا الشكل؟ ولماذا لا تأسّلها مباشرة عمما ت يريد ان تعرفه؟ مضت لحظة ظلت فيها آن يحجب على سؤالها، فقد سكت طويلاً، أم لعل مخيلتها أوجح إليها ببطول مدة هنا السكوت؟ أتراءه حقاً ينظر إليها بنفس الحدة التي شعرت بها، وكان يامكانه ان يرى ما تذكر فيه؟ وكأنه كان يعلم ما تحاول القيام به؟ أتراءه يعلم انها تعرف تماماً ان قضية الأموال قد سبق وأن تنهت؟

كانت قد لبّدت تحت نفسها بانها كانت حمقاء، وأنه في أي لحظة الآن سيأخذ في تحديها لتفاقها هذا، عندما قال بفظمة: «يمكنك ان تقولي ذلك.» ثم عندما اخذت تنقل بصرها غير مصدقة، بين وجهه والملف، مد يده يأخذ الملف من أمامها ثم يضعه في أحد ادراج مكتبته ثم يقفله وتلك بحركات بلغت من عنفها ان شعرت وكأنه صفعها.

لم تستطع شارلوت ان تصدق ذلك، فقد حدث كل شيء بسرعة بالغة، بينما الكتب ينطلق من بين شفتيه بسهولة عجيبة، لقد كذب عليها، لماذا لم يقل شيئاً آخر؟ اذا كان عليه ان يخدعها، فلماذا لم يستطع ان يختار شيئاً اكثراً اقتناعاً؟ لماذا لم يستطع ان يخبرها انه يقوم لأجل باتريشيا وينترز

بمهمة أخرى؟ لماذا اختار كذبة من السهل جداً كشف عدم صحتها؟

عندما جلست وقد اذهلها الألم وعدم التصديق، كانت واعية إلى انه كان يتكلم معها، ولكنها كانت من الإضطراب والذهول بحيث لم تفهم ما كان يقول.

لقد كذب عليها متعمداً هادئاً، ولماذا؟ لأنه لم يكن يوجد بينه وبين باتريشيا علاقة المحامي بالزبون ولأنه لم يكن يريد لها ان تعرف الحقيقة.

كان عليها ان تجاهد لتبدو هادئة طبيعية، رغم الاضطراب الذي كان يعتمل في داخلها.

لكلها عندما ثمنت لكي تعود إلى مكتبتها ومد هو يده يضعها على ذراعها يمنعها من ذلك، عند ذلك كانت تفقد سيطرتها على نفسها وهي تجاهد كيلا تقفز بمنبعدة عنه، تمنعه من وضع يده عليها، قال لها: «إن لدى موعداً للعشاء هذا المساء، ولكنني فكرت في أن هذه العطلة الأسبوعية...» «كلا». كانت الكلمة الرفض هذه من الحدة والسرعة بحيث جعلته يقطب جبينه وينظر إليها بعينين ضيقتين:

«شارلوت، ماذا حدث؟ اذا كنت قد جرحت كرامتك الليلة الماضية، فاستعجل الأمور...»

شعرت بنفسها ترتجف، كان يبدو بالغ الاخلاص والاهتمام بها، فلو انها يقيت هنا اكثر من ذلك فستحصل بـ تخبره بـ بعداتها، وبمبلغ ما يسببه لها من ألم، تخبره بأن شعورها انحوه هو من النوع الذي يجعلها تريده لنفسها فقط، وانها لا تريد ان تكون امرأة يجري معها علاقة خفية قصيرة الأمد.

إغورقت عينيها بدموع الخزي والألم، ان عليها ان

تهرب منه قبل ان تفقد سيطرتها على نفسها تماماً. كان اليأس والتعاسة يملكانها، ولكنها مع ذلك، استطاعت ان تملك من السيطرة على نفسها ما يكفي لجعلها تقول له بحده: «كلا، كلا، الأمر ليس بهذا الشكل».

كانت قد استدارت مبتعدة عنه بسرعة، عندما أمسك بها وهو يقول: «شارلوت، عطلة الأسبوع هذه... لا استطيع... ان... ان لدى ترتيباً آخر لهذه العطلة». وكانت كافية في هذا.

لم تستطع النظر اليه كيلا يرى التعasse في عينيها، أنزل يده عن ذراعها وهو يقول بهدوء: وبصوت بارد جاف: «حسناً، لقد فهمت، ربما في وقت آخر، إذن...» ألقت شارلوت بالملف الذي في يدها على مكتبه، لتسارع إلى استراحة السيدات، شاعرة بالراحة وهي تراها خالية، بقيت هناك إلى ان هدأ ارجافها، وتلاشى شعورها بالغثيان، ثم بعد ان تأملت شكلها في المرأة، لم تستطع الا ان ترى مبلغ الفرق بينه الآن، وبينه هذا الصباح.

لم يكن كل ذلك ثوب دانيال، كما اخذت تحدث نفسها بسام، ذلك انها بتصرفاتها المندفعه جعلته يظنه راغبة في... انها تريده منه... .

ولكن تلك كان عندما كانت تعتقد... كانت تعتقد بماذا؟ أنها المرأة الوحيدة في حياته... وان من الممكن ان تكون بينما مشاعر غير عادلة. كم كانت غبية بالغة الحماقة.

## الفصل الثامن

لم تكن ما تفكّر فيه صواباً، فهي لا يمكن ان تكون من الجبن، بحيث تقدم استقالتها. حدثت شارلوت نفسها بذلك وقد ملأتها الكآبة، وذلك بعد ان أمضت العطلة الأسبوعية تستعيد ما حصل مرة بعد مرة، وكانت قد تلقت بيان البنك صباح السبت وقد أذهلها ان تكتشف ان مقدار الفائدة الباهظ جعل جهودها لا تكاد تتنفس شيئاً من دينها الشخصي للبنك. لم يكن شهادة طلاقه مالية كانت أم أخلاقية، تذكرها من التخلّي عن وظيفتها، وعليها فقط ان تصر على استانها وتسكت.

صباح الاثنين عندما ذهبت للعمل كانت شاحبة الوجه فارقة العينين.

لقد جعلتها معاناتها الكبيرة متورطة للأعصاب، تقipض مشاعرها بالألم.

ولكن مرة واحدة، بدا وكأن الحظ يجانبها، فقد كان على دانيال ان يذهب إلى لندن حيث كان يعمل بالاشتراك مع محام آخر. قال لها ريتشارد وهو يدخل عليها المكتب: «انه احد الزبائن الجدد الذين حصلنا عليهم بعد الدعاية التي صاحبت قضية فيتال، هل انت بخير؟ اترى تتبعين نفسك بالعمل؟» هزت شارلوت رأسها، وأجبت: «كلا. فقد تناولت الغداء مع مارغريت والتي كانت تشكو من بعض المشاكل مع قسم الحضانة». «صدقيني احياناً يبدون وكأنهم مازالوا اطفالاً وليس شباناً بالغين».

«ربما وضعهم في مكان يسمى الحضانة له دور في ذلك». «حسناً، قد تكونين على حق، أو ربما لأنني كبرت في السن، متى سيعود دانيال بالمناسبة؟» أجبت شارلوت بكلبة: «لا أدرى». وما لبثت أن تمنت لو لم تقل ذلك بمثل تلك الحدة، وذلك عندما رأت الطريقة التي قطبت فيها مارغريت حاجبيها.

لم تستطع النوم في تلك الليلة كما أنها لم تك تتناول طعامها، وكان ذلك لم يكن كافياً، فبدأت تتصرف وكأنها هي عدوة وليس دانيال.

كانت تستيقظ أثناء الليل مراراً وصورته لا تبارح مخيلتها، واللهم تملكها لرويته رغم ما كانت تذكر له نفسها بالأسباب التي تحملها على تجنب ذلك.

لم يكن الأمر سيناً تماماً أثناء النهار، فهي بإمكانها على الأقل أن تزاول نوعاً من السيطرة على أفكارها وذلك بتنكير نفسها بياتريشيا ويتترز، ولكن الليل لا يحتوي على مثل هذه الدفاعات، فائناء نومها تتغلب أحاسيسها على الواقع فتعنبعها بدلاً من الأحلام التي كانت مجموعة من الذكريات والمتمنيات التي تتضمن الحب والرغبة.

فهل من الغريب أن يبدأ الآخرون بالتعليق على ما كانت تبدو عليه من إرهاق وتعب؟ كانت المشكلة هي أنها لم تستطع ان تكف عن حب دانيال مهما حدث نفسها بوجوب ذلك.

ثم إذا به يعود ذات يوم خلال الأسبوع، قبل يوم من الموعد الذي كانوا يتوقعون قدومه فيه.

كان يبدو بمثيل التوتر الذي كانت هي تشعر به، ما شعرت

له بصيحة وهي تنظر اليه، لم يكن هناك أثر لابتسامته المعتادة، كما كانت عيناه بارديتين فارغتين. سأل شارلوت وهو يدخل إلى مكتبه: «هل سيارتكم هنا؟» وعندما أومأت مجيبة قال: «هذا حسن فانا بحاجة إليها واليك انت». وقبل ان تنطق بكلمة، كان قد خرج من المكتب متوقعاً منها ان تتبعه.

كانت سيارتها واقفة في الساحة، فوققت امامها وهي تنظر إلى دانيال متسائلة.

فقال لها يديوع: «كلا، تسلمي انت القيادة. انه جون بالفuron، لقد توفي في الماضية بعد ان يقي مريضاً عدة ايام، وقد اتصل بي مسؤول من المجلس هذا الصباح وكتن قد اعطيتهم رقم هاتفي عندما علمت بمرضه، انهم يريدونني ان اصفي اموره فانا محامي». كانت لهجة متعبة حزينة، وعندما فتحت شارلوت باب السيارة، جال في ذهنها انه لم يخسر زبوناً فقط، ولكن شخصاً كان يعتبره صديقاً.

وبصمت اتخذت مقعدها في السيارة.

«لقد عدت بأول قطار استطعت اللحاق به، كان بإمكانني طبعاً ان اذهب إلى بيتي لإحضار سيارتي، ولكنني في الحقيقة لا آمن على نفسي في حالتي هذه من قيادة سيارة.» فقالت: «أرى ان جون يعني لك الكثير». «نعم، فقد كان آخر صلة لي بعمتي ليديا، انها كانت صديقين حميميين». لحسن الحظ تذكرت شارلوت الطريق إلى الدار، كان

احساسها بدانيل جالساً بجانبها مر هفاً للغاية، وكما يبدو كانت أفكاره كلها موجون بالغور.

فاختت نفسها عطفاً عليه ما بدد غضبها منه، ربما لم يكن يحبها... ربما كان يشعر بالذنب لخداعه لها، ولكن شعوره نحو الرجل الذي توفي لتوه لم يكن فيه شك.

عندما وصلا إلى الدار، قادوها بصمت إلى غرفة جون بالغور والتي بدت بدون صاحبها، حزينة غير مكتملة، إذا كان هذا هو شعورها نحو هذا الرجل وهي التي لم تره سوى مرة واحدة، فكيف يكون شعور دانيال نحوه إذن؟

أخذت شارلوت تسائل نفسها بذلك وهي تتذكر بصمت إلى دانيال الذي كان يجول بيته في توحي الغرفة.

كانت مدمرة الدار تقول لدانيال: «لم يكن يملك أشياء كثيرة، فقط ما تراه وما يحتويه المكتب، والأثاث بالطبع، إننا ننسجم لهم بإحضار قطع قليلة من أشيائهما عند حضورهم للإقامة عندها، إن هذا يمنحهم الشعور بالاستقرار، ثم هناك طبعاً الصندوق الذي يتحفظ فيه بأوراقه الرسمية».

غادرت المديرة الغرفة، وبينما اختفت شارلوت تراقب دانيال وهو يستعرض محتويات الأدراج بعناده يسودها الألم، كانت تتساءل بعجب عن السبب الذي جعله يحضرها معه إلى هنا، سالته وقد اتقل نفسها هذا الصمت الحزين الذي يشحّن جو الغرفة: «هل لديه أقرباء كثيرون؟

«أبناء اعمام بعيدوا القرابة، وهذا كل شيء، ان أشياءه يمكن وضعها في المخزن حالياً، ان لدى مكاناً كافياً لها في منزلي». كان قد اخرج مفتاحاً من أحد ادراج المكتب، ثم

أخذ ينظر حوله، وما لبث ان سار نحو السرير وسحب من تحته صندوقاً من الخشب.

كان شخص ما قد احضر صينية شاي أثناء انشغاله في تفتيش المكتب، فأخذت شارلوت الآن تسكبه، لقد توقف مؤقتاً عداً هاله والألم الذي سببه لها، بعد ان تغلب عليهم تأثيرها لمشاعره تجاه موت جون بالغور.

لم يكن هناك من لا تتحرك مشاعره إزاء حزنه البادي، فقد كان واضحاً في الطريقة التي كان يلمس بها أطر الصور الفضية والأشياء الخاصة القليلة على المنضدة بجانب السرير، وفي المفرقة التي كان يفحص فيها محتويات المكتب، فكرت شارلوت وفي حلتها غصة، في ان هذه الأشياء لو كانت ملكها هي، لما ثمنت ان يتصرف بها أحد بعناده ومشاعر اكثر مما تراه الآن.

رأت فجأة دانيال يجمد في مكانه، كان يحمل بيده كومة رسائل بينما الكتبة البالغة تبدو على ملامحه.

فتساءلت: «ما هذه؟ ماذا جرى؟

هز رأسه قائلاً: «هذه الرسائل بخط ليديا، هذا غريب، أليس كذلك؟ أعني اختلاف شعورنا إزاء اشتراك شخص

نحبه في عمل كهذا، عنه إزاء شخص غريب.

أرى ان المنطق والمهنة يتطلبان صون هذه الرسائل، على الأقل اذا لم تقرأ، ولكن شعوري بأنها رسائل خاصة لفرد واحد فقط، يقول بأنه يجب ان لا يطلع عليها احد آخر على الاطلاق. لقد كان أراهنني والدي ان اكون قاضياً، كما تعلمين، ولكن ليديا نصحتني بخلاف ذلك. وقد تراجعت هي مع والدي لهذا الأمر، كان هو يظنها تريدينني، بصفتي الجيل الثالث من

المحامين في الأسرة، إن استلم مكتب المحاماة الذي كانت أنشأته، ولكن هذالم يكن صحيحاً، فهي لم تكن تعتقد أن طبعي من النوع المحايد إلى حد اصلاح معه للقضاء، كانت في تلك الأيام تعرفني أكثر مما كنت اعرف نفسي..»

وعاد ينظر إلى الرسائل، وإذ أحست شارلوت بما كان ينوي عمله، تقدمت نحوه مدفوعة بالغريرة أكثر منها بالمنطق، وهي تتقول له بتأنّر: «احتفظ بها، فقد تشعر فيما بعد بأنك أكثر قرباً وعاطفة من عمتك من ان تحاول قراءتها. ولكن فكر في حرماني إيجاب المستقبل، الذين لم يعروفوا شخصياً، مثل أولاد وحفادك... من قراعتها، هذا إذا اتت تقىها الآن توقف ونظر إليها ثم قال بلهجة بدت فيها مراهرة مزريحة بشيء من الغضب: «أولادي؟ لا اظن...» وسكت ثم عاد ينظر إلى الرسائل، ثم اذا بها تذهب وهي تراه ينالها إياها قائلاً: «هذا حسن جداً، إذن فقررت انت ما يجب عمله.»

تلقت الرسائل بيديها وهو يلقاها إليها، ثم قالت متعلقة: «ولتكنى لا استطيع... أنا لا... أنها ليست...» فقال: «انك امرأة ومحامية أيضاً، ما الذي كنت تريدينه لو كنت مكان ليبيا؟» لم ينتظر جوابها، بل أدار وجهه عنها، منشغلًا بأوراق أخرى.

رأّت شارلوت انه لا يمكن ان يكون هذا ما يعنيه، لا يمكن انه يثق برأيها في هذا الأمر من دون الناس جميعاً. كانت تعرف مكانة عمتليه، وكم كان يحبها، فكيف يطلب منها، وهي التي لا يثق بها مهنياً، والتي من المؤكد انه لا يثق بها كامرأة، كيف يطلب منها ان تكون هي التي تتضع مثل هذا

القرار؟ نظرت اليه، ولكنه كان ما يزال مولياً ظهره اليها. كانت على وشك الاحتجاج.. فقد كانت لدبها عمتة هو... لكنها عندما نظرت اليه، ورأّت كيف كانت الأوراق ترتجف بين يديه فاختت نفسها عطفاً عليه.

دست حزمة الرسائل في حقيبة يدها، ثم اخذت ترثشف الشاي بهدوء، تاركة لدبانيال فرصة يتمالك فيها مشاعره. مضت أكثر من نصف ساعة قبل ان يتكلم مرة أخرى.

قالاً: «ان الدار سترتب أمر تفاصيل الجنائزه». لم يمس فنجان الشاي، ولكن شارلوت لم تشر إلى ذلك، كما أنها استفعت عن تساله عن السبب الذي جعله يحتاج إلى مساعدتها بينما لم تفعل شيئاً سوى ان تكون معه. عادا معاً بصمت إلى سيارتها، وعندما كانت تفتح بابها، التفت ددبانيال اليها قائلاً: «شكراً.»

أرادت ان تساله لماذا يشكراها، ولكن الكلمات التصقت بحلوها، كانت هذه ناحية مختلفة في شخصيته، كانت ناحية ضعف لم توقع قط ان تراه يكشف عنها، خصوصاً لها.

قال لها: «أخشى انتي ساضطر إلى ان اطلب منك ان توصليني إلى بيتي». فاجابت بسرعة وغفوية: «هذه ليست مشكلة، ولكن

سيكون علي ان اسألك ان تدلني على الطريق، إذ ليس لدى فكرة عن مكان اقامتك.»

نظرت اليه عندما انتهت من كلامها، فادهشها التعبير الذي كان يبدو على وجهه.

كان مزيجاً من الألم والمرارة، رغم انه لم يكن لدبها فكرة عن السبب الذي جعل طلبها المعقوق هذا قد أثار مثل هذه

النظرة، إلا إذا كان طبعاً، ما زال يفكر في ليبيا وجون. ولكن كلماته التالية ناقضت هذه الفكرة، إذ قال بفتور: «كلا، إنك لا تعرفين بيتي، أليس كذلك؟» وعندما ادارت المفتاح في الإشعال فتحركت بها السيارة، تساعلت عما يجعل جهلها بمكان بيته يوثر على مشاعره بهذا الشكل، كان سهلاً عليها اتباع إرشادات الواضحة المختصرة، لقد كان يعيش في ناحية المدينة المعاكسة للناحية التي يعيش فيها والداها، ودهشت وهي تجد أنه لا يسكن في المنطقة المعتبرة أنها الأفضل للسكن، وإنما أبعد كثيراً مما كانت تتوقع. كان ذلك في الواقع، خلف حلقة من القرى الصغيرة التي تحيط بالمدينة من الناحية الريفية.

قال وهو يخترقان قرية صغيرة: «آسف لكوني جررتك إلى هذا المكان البعيد، وأرجو ألا تكون أفسدت عليك أية خطة قد تكونين وضعتها لهذا المساء..»

فهزت شارلوت رأسها نافقة.

عاد يقول وهو يشير إلى طريق صغير متفرع من الطريق العام: «إنه هنا إلى الشمال..»

لم يكن لدى شارلوت فكرة عن البيت الذي كان يسكنه دانيال، ربما أحد المنازل الأنيقة المجددة في نفس المدينة، أو ربما في منزل من الطراز الفيكتوري أو الإلوداري يقوم وسط أراض خاصية به، من ذلك النوع الموصوف عادة بأنه منزل عائلي مريح.

ولكن الذي لم تكن تتوقعه قط كان مخزن الغلال ذاك المجدد والموسوع والذي صار بإمكانها أن تراه الآن في آخر الطريق.

قال لها دانيال وكأنهقرأ أفكارها: «كانت نزوة تلك التي دفعتني إلى شرائه، لقدرأيتهمنذ ثلاثة فصول صيف فأعجبت به، فقد كان الناس الذين أشتروه ورسموا خطة تجديده الأساسية كانوا ينتقلون إلى خارج البلاد، لا يمكنك ان تريه من هذه الناحية، ولكن الناحية الأخرى من المنزل معظمها من الزجاج، وهي تواجه الجنوب ومنها ترين منظراً لا يصدق لجمالي، لقد جذبني شيء ما في هذا المنزل... ربما كان مقدار ما تغميره أشعة الشمس، ففي فصل الصيف ترين غرابة وجمال امتصاص أشعة الشمس والغاية القديمة،» كان المخزن من الأماكن مبنية من القرميد الملون، وكانت بوأفة صغيرة، وكان هناك طريق مبلط هو الذي كانت تسلكه، ومن فوق السياج المنخفض، تمكنت من رؤية حديقة جميلة ريفية الطراز يخترقها ممر يؤدي إلى بوابة صغيرة، ومرور خضراء ومساكن أزهار

كانت قد أوقفت السيارة وأخذت تنتظر خروج دانيال منها، ولكنه التفت إليها فجأة وقال بصوت مفعم بالمشاعر: «تناولوا العشاء معى يا شارلوت..»

تناول العشاء معه؟

أخذت تحدّق إليه وقد ساورها الإضطراب لدعوته هذه، واحد قلبها يتحقق، واحسسيتها تتباين معه. كانت ترى التعب والألم، من احداث هذا النهار، مرتسماً في عينيه وعلى جانبي فمه.

لقد فهمت الآن من دون ايضاح منه، السبب الذي يجعله لا يريد ان يبقى وحيداً.

كانت تريد ان تتحجّ قائلة إن ليس بامكانها ان تمنع عنه

جفلت لسؤال دانيال الرقيق هذا، جمدت في مكانها وقد توهج وجهها وهي تتساءل كيف علم بما تفكر فيه، ولكنها مالبثت ان أدركت انه كان يشير إلى المنزل نفسه وليس إلى وجود باتريشيا وينترز فيه.

اجابته قائلة: «انه... انه رائع».

فأشرق وجهه بابتسامة دافئة: «انتظرني إلى ان ترى المنظر من الطابق الأعلى، ان الرهبة ستتملكك خصوصاً في الصباح الباكر عند شروق الشمس...» اخذ كل منها ينظر إلى الآخر، وكان واضحًا ان كلاً منها لم يستطع تحويل عينيه جانبياً، اكتشفت ان فمهما قد أصبح شديد الجفا، كما ان قلبها قد تسارعت خفقاته، وتملكتها مزيج من التوتر والانفعال.

«الآن وقد وافقت على تناول العشاء معى، أرى ان ابحث ما إذا كان لدينا شيء يوكل».

اخذت تنظر اليه وهو يتحرك، فاتحًا الثلاجة، وسمعته يقول شيئاً عن اللحم والبيض، ثم يبدأ بفتح الطعام من الثلاجة والخزانة، كل ذلك دون ان تستطيع التحرك من مكانها.

ما الذي حدث لها؟ لقد طالما انفردت به من قبل دون ان يحدث لها مثل هذا التأثير، حسناً، انها تحبه وتريداه.

اخذت تتسمم روائح الطماطم واللحم والخضار وكأنها جديدة عليها.

لماذا يحدث معها ذلك؟

اخذ يطهي الطعام دون ان يطلب منها أن تساعده، كان يتصرف بكل اقتصاد وبساطة، وكأنه قد ألف هذا العمل، كانت حركاته خالية من المبالغة والتفاخر الذي كانت

مشاعر لا يمكنه تحملها، ولا هي مخففة أحزان، ولكن المنطق الذي كانت تحاول الاستعانة به قد تخلى عنها. فقد امنتت اصابعها تفك حزام المقعد من حولها، ثم تطفئه المحرك، ثم تترجل من السيارة، دون وعي منها، اكتشفت انها واقفة خارج سيارتها تقفلاها.

«من هذه الناحية».

كان دانيال يقف بجانبها يشير إلى الطريق المبلط وأيضاً إلى مؤخرة المنزل، كان ضوء النهار قد ابتدأ يتلاشى، ولكنه كان مايزال كافياً ليجعلها تحس انفاسها ليتهاجاً وهي ترى ما كان يعنيه بالنسبة إلى بوابة المنزل، بين الواح خشب السنديان العتيقة والقرميد الريفي الأملس كان المهندس قد صمم ما كان فعلاً جداراً زجاجياً، ما جعل المزاج بين القديم والحديث يسود غلابة في الانسجام والجمال، فتح دانيال الباب ثم دعاها للدخول وهو يشعل النور، فتبعته إلى مطبخ فسيح.

هنا أيضاً كانت الدعامات الخشبية والقرميد قد ترك مكشوفاً.

كانت الأرض مرصوفة بالحجر المرربع المدهون والذي صقله مرور الزمن، وكان المفروض أنها باردة ولكنها ليست كذلك، كان من السهل ان يتصور المرء أسرة تسكن هذا المنزل، يعيشون بسعادة وهناء ويحضرون، مستمتعين بهذا المنزل الغني بالمتناقضات.

لكن لم يكن من السهل عليها ان تتصور باتريشيا وينترز في منزل كهذا... وأخذت تنظر إلى الجو العائلي الذي يحيط بها.

«حسناً، ما هو رأيك؟»

شعرها يشبه شعر دانيال، كثأبوني اللون، وكذلك شكل الأنف وصلابة الفك.

قالت له: «إنكما متشابهان جداً».

فأجاب: «شمة تشابه قليل من الملامح، ولكنني مع الأسف، لا أملك بعد نظر ليديها ولا عزيمتها، وأنا أشك في لتنى، لو كنت مكانها، كنت استطيع إنجاز ما انجزته هي، فانا لا استطيع ان اقوم بمثل تلك التضحيه».

سألته بحيرة: «تضحيه؟»

نعم، فقد تخلت عن كل شيء، لكي تثبت وجهة نظرها...لكي تثبت ان يامكانها ان تصبح محامية ناجحة كامثالها من رجال عصرها، لقرفصها زواج خوفاً من ان يتقدما زوجها بترك عملها. كانت تعتقد ان من المستحيل ان تتken من الجمع بين المحاماة والحياة الزوجية والأمومة. وعلى كل حال، في زمنها ذاك، لم يكن احد يعتقد ان بالاماكن الجمع بين الأمرين».

كانت لهجة من الاستياء، بحيث التقى شارلوت تنظر اليه، ثم سائلته متحيبة: «وهل تتفق انت معها في هذا الرأي، وهو ان المرأة لا يمكن ان تجمع بين الاثنين؟»

فنظر إليها محبباً: «لا اظن ان احد يستطيع ذلك، سواء كان رجلاً ام امراة، اظن مهما اختار المرء في هذه الحياة، فعليه ان يضحي بشيء ما، لقد احب جون بالفور ليديا، واظنها احبته هي أيضاً. وعصر هذا اليوم وانا في غرفة بالفور، لم استطع منع نفسي من ان اتسائل عن هذا الأمر، اظن مما يدعوه إلى الأسى البالغ ان يحب اثنان بعضهما البعض، ثم يدبران ظهريهما إلى هذا الحب لأي سبب كان».

حدقت إليه شارلوت، لم يكن هذا النوع من الكلمات

تراء في اصدقاء ببيان وهم يتحدثون عن مواهبهم في المطبخ.

اللقت ينظر اليها وكأنه أحسن بنظراتها المتعنة فيه.

عند ذلك قالت له: «هل يمكنني المساعدة؟ المائدة؟؟» فهز رأسه نافياً وقال: «سنأكل في غرفة الجلوس لأن شمة مدفأة، ساذهب وأشعلها بينما تتبعين إلى الطعام أثناء غيابي».

حاولت بعد ذهابه، ان تقضي هذا الضعف عنها، لقد كان يريده صحبتها الآن لمواساته وتخفييف احزانه، كما اخذت تذكر نفسها، ولكنها ستكون مجنونة لو تصورت لحظة ان لها مكاناً حقيقياً في حياته.

عندما عاد قال: «الطعام جاهز تقريباً»، شعرت بالجوع وهي تشم رائحة الطعام، ولكن وجوده شغل حواسها إلى حد لم يترك فيها مكاناً لأي شيء آخر.

وعندما أصبح الطعام جاهزاً، وضعه دانيال على عربة مصنوعة من خشب السنديان، وهو يقول لشارلوت: «غرفة الجلوس من هذه الناحية».

تبعته إلى خارج المطبخ حيث دخلتا إلى ردهة يبدو انها تتوسط المنزل، كانت جدرانها بلون القشدة، واماكن أحد الجدران، قامت خزانة بارجاج من خشب السنديان علق فوقها صورة لامرأة انبهرت ملامحها بمصباح كهربائي.

وعندما وقفت شارلوت تنظر اليها، قال لها دانيال: «انها ليديا».

رأى ملامح الأسرة ممثلة في تقاطيع ليديا الأنوثية، كان واضحاً ان الصورة رسمت عندما كانت امراة شابة، كان

والمشاعر ما كانت تتوقه منه، وطبعاً، لم تستطع ان تتصور بيفان يقول شيئاً كهذا، على الاطلاق.

كان هو قد فتح لها باب الغرفة مشيراً اليها أن تقدمه. كانت الغرفة التي دخلت اليها فسيحة مريحة الاثناء، وكان هناك جدار كامل من الزجاج ربما كان يوماً ما مبنياً من الخشب والحصى، أو ربما القرميد، وكانت الأرض الخشبية المصقوله تتسع في ضوء نيران المدفأة ومن اضواء المصايبع المعلقة في أنحاء الغرفة.

رأث في إحدى الزوايا بيانو للأطفال، وعندما رأها دانيال تنظر اليه قال لها: «كان هذا المنيا عندما كانت فتاة صغيرة، كانوا في زمنها يعلمون الأطفال العزف على البيانو، وقد أرادت ان تعلمني أنا أيضاً، ولكنني للأسف، لم استطع ان اتجاوز تحريك الأصابع». «

كان على جنبي المدفأة مقعدان مقابلان منجدان بقماش مخطط من اللونين التبني والبني الفاتح وغطت المساحة بينهما سجادة سميكة.

عندما دفع دانيال العربية إلى أمام المدفأة، رأث شارلوت ان من الممكن توسيعها بحيث تصبح مائدة مناسبة.

قال: «دعينا نأكل هذا قبل ان يبرد..» فجلسست رغم انها لم تكن جائعة تماماً، ولكنها تناولت صحنها بحركة آلية.

تناولت شارلوت من الطعام نصفه قبل ان تعرف بأنها لن تستطع اكماله.

وتملكتها الدهشة وهي ترى ان دانيال أيضاً كان يأكل من دون شهية.

سالها: «أليست جائعة؟»

فهزت رأسها: «كلا،انا آسفه...»

ثم اخذت تنهض واقفة وقد تملكتها شعور غريب بالذعر، فقد كان احساسها العميق بالإلفة والمودة لكل ما يحيط بهما، هذا إلى شعورها بالضعف، امتزج بشعور مفاجئ بالرغبة في الهرب.

ربما يسبب هذه المشاعر، او ربما لنهوضها بسرعة، شعرت وهي تتحرك، برأسها يدور.

«شارلوت...»

لم تجرؤ ان كان قريباً منها إلى هذا الحد، وقد بان في عينيها الخدر والخوف.

«شارلوت...» وبصوت بالغ الرقة عاد ينطق باسمها. فنظرت اليه دون ان تستطيع منع نفسها من التجاوب مع تلك الرقة في لهجته، جف فمها كما حدث عندما دخلت المطبخ من الخارج، واخذ قلبها يخفق بعنف.

نظرت إلى عينيه... انه يريدها وبنفس القوة التي تريده هي بها.

لقد تجاوبت مشاعرها مع ما تنطق به عيناه من مشاعر، انها تحبه، فهل هو يحبها؟

«شارلوت...» همس باسمها للمرة الثالثة وهو يمسكها من ذراعها يجلسها على الأريكة. «ما هو شعورك نحوي، يا شارلوت؟»

نظرت إليه وشفتها ترتجفان.

«قولي يا شارلوت... قولي انك تحببوني كما احبك، قوليهيا يا شارلوت.»

بالرقة الفاتحة وهو يصراحتها بحبه، ويسألاها إن كانت تحبه... تحبه؟

همست وهي تبلل شفتيها الجاقتين بلسانها: «نعم... أحبك... أحبك يا دانيال.»

ومن مكان بعيد، تناهى إلى مسامع شارلوت صوت، فانتقضت مجففة، محاولة التثبت بدانيل، ولكن قد تحرك مبتعداً عنها، وهو يتأنى كارها إلى حيث رثىن الهاتف الملحاح ذاك.

أخذت تنظر إليه وهو يسير مجازاً الغرفة وقد تعلكتها الاستياء لهذه المقاطعة، وكان هو يرف السماحة «أتريبيسا» حتى ولو لم تسمع شارلوت الاسم، كان بامكان شارلوت أن تدرك شخصية المتكلمة من ذلك الصوت المتقطرس الحاد الذي نقلته الأسلام. سمعتها تقول له: «أنا بحاجة إلى روؤتك يا عزيزي الآن...»

أحسست شارلوت بدانيل يلتقت نحوها، وبمرارة زائدة حولت وجهها عنه وهي تشعر بالغثيان، بعد ان انهارت آمالها في ان يكون له، نحوها، نفس المشاعر التي تشعر بها نحوه، مدركة أنها بالنسبة إليه ليست سوى امرأة يتسلى معها إذا لم يجد سواها، لم يكن ثمة فائدة من انكار هذه الحقيقة، محاولة اقناع نفسها بالعكس، أما المرأة الأخرى، المرأة الوحيدة ذات الأهمية في حياته، فهي تلك التي تكلمه من الناحية الأخرى من الخط.

جادلت للوقف على قيمتها، ومن خلفها كانت تسمع دانيال يتحدث بصوت منخفض ثم سمعت صوت السماحة تعود إلى مكانها.

أجلت وهي تشعر بيده على كتفها، وهو يقول: «شارلوت... أنا آسف ولكن...»

إلى هذه اللحظة لم تكن تدرك مقدار الأمل الذي كانت عقدته في أن تستمعه يقول أن هذا الهاتف غير مهم، وإن وجوده معها فقط هو ما يهمه.

كانت تشعر بمرارة في فمها وثلث قلبها، هذا إلى احتقار لنفسها، وغالباً يوماً أو شهراً من تهمير من عينيها وهي تقول بلهجة متوترة: «لا بأس، انتي أدرک ان العمل يأتي أولًا.»

شدّت على لفظة العمل، مترحة لهفة إلى أن يعود قبليـن معها، مهلاً طلب باتريشيا منه موافاتها مهما كان السبب، ولكنه لم يفعل.

«شارلوت، يجب ان اذهب، انها مسألة تتعلق بالعمل، لا استطيع...»

فقالت بتوتر: «لا حاجة بك إلى الشرح..»  
مسألة تتعلق بالعمل؟ ایظنها حمقاء إلى هذا الحد؟ ایظنها لم تستمع ذلك الصوت في الهاتف وهو يخاطبها بكلمة يا عزيزي؟ وأنهالـم تستمع اقاويل المكتب عنه وعنها؟ ثم أليس من المفروض انها ستستاء وهي تراه يتركها ليذهب إلى امرأة أخرى؟

ازداد شعورها بالغثيان، فاختطفت سرتها وحقيقة يدها، وجسمها يرتجف، غير قادر على إلقاء نظرة أخرى عليه.

وصلت إلى الباب ففتحته قبل ان يستطيع هو ان يفتح لها، لم تستطع ان تصوّره قريباً منها.. ومشاعرها مليئة بالغثيان منه ومن نفسها لبغائتها وضعفها.  
وعندما اخذت تفكّر في الطريقة التي اخذت بها تبادله

نظرات الهيام، وكلمات الحس، وفي ظنها انه يكن لها ما تكن له من حب، امتنأ اشمنازاً ويسأ من نفسها.  
كانت قد وصلت إلى الباب الخلفي، وكان دانيال يفتحه لها ثم يتبعها إلى السيارة، كان حسن التهذيب إلى النهاية.  
وكتبت ضحكة هستيرية أو شكت ان تصدر عنها. أتراه يتوقع منها ان تكون حسنة التهذيب مثله؟

ما هو التهذيب المتوقع في موقف كهذا؟ هل هو الإدعاء بأدب بأنها لم تتبه إلى ذلك الهاتف، وإلى كلمة عزيزي...  
وان تعلمتها إلى انها متفهمة تماماً؟

عليها ان تهرب، تهرب بعيداً، وتلكلتها العراقة وهي تصعد إلى سيارتها لتنطلق بها بعيداً... بعيداً عن كل شيء.  
لم تكن في الواقع في حالة ملائمة لقيادة السيارة، ولكنها لم تجرؤ على التوقف إلا بعد ان ابتعدت عن المنطقة، وذلك كيلا يراها دانيال وهو في طريقه إلى باتريشيا وينترن. أتراه سيمضي الأممية؟  
وشتمت شارلوت نفسها وهي ترى الدموع الحارة تتهرم من عينيها.

كانت تظن انها قد جربت كل انواع الإذلال واليأس، ولكنها لم تعرف فقط مثل هذه المشاعر، لم تعرف معنى ان تحب رجلأ يظهر لها مشاعر رائعة دافئة، هذا إلى رقة زائدة، ومع ذلك لا يحسن بشيء نحوها على الاطلاق.  
ماذا كانت تظن نفسها تفعله؟ لقد كانت تعلم قبل هذه الليلة، حقيقة الوضع، لقد كانت تعلمه، ولكنها تعمدت تجاهل تلك المعرفة.  
وهكذا استحققت ما حدث لها، تماماً كما كانت استحقت

فشلها في أعمالها، والذنب واللوم في كل ذلك يقع عليها وليس على شخص آخر، كان بإمكانها ان ترفض تناول العشاء مع دانيال، وحاولت ان تتصور كيف ستتمكن من مواجهته عند الصباح عندما تراه قادماً إلى عمله، وهي تعرف أنه ربما قادم من منزل باتريشيا وينترن، ولكن مخيلتها لم تستطع ان تجيئها إلى سؤالها.

كل ما كانت تريده هو ان تزحف إلى حيث تخفيء عن الأنثار في مكان ما، ان تذكر انها قد عرفت يوماً من يدعى دانيال جفرسون، وطبعاً تذكر انها كانت أحبته وأغرمت به. لو انها فقط تستيقظ عن مثلاً مواجهته مرة أخرى.

أخذت تجول في رأسها فكرة ان لا تعود إلى المكتب بعد الآن، ولكنها سرعان ما أدركت انه خيار ليس مفتوحاً أمامها. أولاً، بماذا تفسر الأمر لواليديها؟ واحمر وجهها وهي تتصور نفسها تحاول القيام بذلك، كلا، كل ما عليها هو ان تجد طريقةً للمكابرة بشكل يعيد إليها كرامتها، وذلك بأن تجعل دانيال يعتقد بأن ما حدث بينهما كان عديم الأهمية بالنسبة إليها قدر ما كان بالنسبة إليه.

ولكن كيف؟

## الفصل التاسع

عند الصباح جلست شارلوت إلى مكتبهما للبدأ عملها كان إر غام نفسها على العمل هذا الصباح أحد أشغال الأعمال التي عرفتها في حياتها، بما في ذلك مواجهة فشلها في العمل وأفلاسها.

غريب كيف أصبحت ترى ذلك عديم الأهمية بالنسبة لمعانبي الآخر.

نظرة واحدة إلى وجهها في المراة قبل أن تدخل إلى مكتبهما، أثبتت لها ما سبق لها وعرفته من قبل.. وهو أن ملامحها فضحت كل العلامات المعتادة للتوتر الهائل الذي تعيشه، تماماً كما كان الانتفاخ حول عينيها يدل عن الدموع التي كانت ذرفتها أثناء نومها.

كانت ترجو من كل قلبها لو ان دانيال هذا النهار يشعر نحوها بالعاطف والحساسية إلى حد يبقى بعيداً عنها، فهو عطوف جداً بالنسبة للآخرين، فلا بد انه يعرف بشعورها الآن.

لا بد انه كان يشعر من نظراتها اليه الليلة الماضية، وتصرفاتها، بأنها تحبه، ولو انه لم تقل له ذلك حرفياً، فكل تصرفاتها نحوه كانت تشير إلى أنها تشعر نحوه بشيء خاص.

ولكن ربما لم يشا هو ان يلاحظ شيئاً من ذلك، مفترضاً ان مشاعرها نحوه لا بد ان تكون مماثلة لمشاعره نحوها...

مجرد رغبة، أو ربما لم يفكر فيها على الاطلاق بعد ان ذهبت هي واتجه هو في طريقه إلى رؤية باتريشيا وينترز، سمعت باب مكتبه الخارجي يفتح، فجمدت في مكانها، وحنت رأسها تخفى وجهها بين الأوراق على مكتبهما والتي كانت الكلمات فيها تهتز امام عينيها الشدة ما كانت تشعر به من غليان في داخلها.

مرت الثانية ثم الدقائق، ورغم إرها فها السمعها، إلا انها لم تسمع حركة في مكتب دانيال، وبقي الباب الموصل بين المكتبين موصدأ لحسن الحظ.

كان العمل بالفسحة اليها أي نوع من العمل، مستحيلأ، ولكنها حاولت ذلك بكل ما امكنها من عناد، حيث اخذت تقرأ الملاحظات التي كانت دونتها على ملف القضية التي بين يديها، ولكنها كانت تعلم انها لم تكن تركز حقاً على ما كان المفترض ان تقوم به.

في كل مرة كانت تسمع فيها أقل حركة خارج مكتبهما، كانت تجفل خوفاً من ظهور دانيال، وفي الساعة العاشرة جاءت آن ببريد الصباح.

قالت حالما وقع بصرها عليها: «آه، ما اشد شحوبك، ارجو ان لا تكوني أصبت بتلك الجريثومة المعنوية المنتشرة في المنطقة حالياً».

فهزت شارلوت رأسها: «لا اظن ذلك».

قالت آن متبايعة ثرثرتها: «لا أدرى ما الذي ت يريد باتريشيا وينترز من وراء رؤية دانيال؟ مهما كان ذلك، فلا بد أن الأمر كان مستعجلأ بالنسبة إليه حتى جعله يذهب إليها وهو في طريقه إلى العمل، إلا اذا كان ذلك حيلة أخرى منها للحصول

على اهتمامه، يمكنني ان أتخيلها وهي تهبط السلم في قعده نوم فضفاض أسود اللون مثير للغاية، مدعية بانها قد استيقظت من النوم لتوصها، ولكن بكامل زينتها وشعرها المصنف على احدث طراز».

اصبح ارتجاج شارلوت ظاهراً للعيان، وشعرت بالغثيان في معدتها وهي تسمع تعليقات آن بينما عادت هذه تسألاها وهي ترى ما يحدث لها: «هل أنت واثقة من انك على ما يرام؟»

لم تستطع شارلوت الكلام، استطاعت فقط ان تهز رأسها وهي تغمض عينيها بشدة تمنع بذلك الدمع التي كانت تشعر بها على وشك التدفق، بينما أخذت ان تبدي لها الاهتمام البالغ، قائلاً لها بأن لا تتحرك قبل ان تحضر لها كوب ماء.

لم يكن الندب ذنب آن، إذ لم يكن لديها أي فكرة عن ان ثرثرتها وتعليقاتها هذه كانت السبب في مرضها، ثم ما الذي يجعلها هي تشعر بمثل هذا الإضطراب والهجران؟ فقد كانت علمت مسبقاً بأن دانيال ذهب لزيارة باتريشيا ويتنزّل، وكانت قد سبق وسمعت أقاويل المكتب عن ملاحقة باتريشيا لDaniyal.

لأنه، فقد كان موظفوه يعتقدون بأنه ليس لديه اهتمام شخصي بباتريشيا، وأنها هي التي تحاول إنشاء علاقة بينهما، ولكن شارلوت كانت قد تعلمت أن ترى الواقع... أن تجمعها وتحلّلها وكل الواقع التي لديها الآن تووضع تماماً ان باتريشيا وDaniyal هما حبيبان.

وهكذا تدفقت إلى ذهنها الآن كل الصور التي كانت

تجاربها، وذلك لكي تعذبها... صور دانيال وباتريشيا يجلسان معاً، صور دانيال كما كان معها آخر مرة... صورة له وهو يستيقظ في الصباح في منزل حبيبته، فيعيد يده إلى الهاتف ليكتب عليهم في المكتب وهو يعطي سبباً لتأخره في الوصول.

كان من السهل عليه ان يدعى بأنه كان يزور باتريشيا لأمور تتعلق بالعمل بينما هو في الحقيقة... وازبردت ريقها بالألم محدثة نفسها دون رحمة، هي اعترفي... اعترفي... لقد ذهب إليها الليلة الماضية مباشرة من جانبك، قد أمنخ الليلة معها، وحتى هذا لم يكن كافياً، فهو ما زال مدا الصباح يريد ان يبقى معها.

ومزقها الألم بشكل أقسى من أي شيء كان عليها ان تختتمه، لقد أحقر جلدتها وشع من عينيها إلى حد جعل آن وهي تعود حاملة كوب ماء، جعلها تهتف وهي تنظر إليها: «بيدو منظرك مخيفاً، هل أنت واثقة من انك...»

فقطاعتها شارلوت كاذبة: «انا... إن لدى صداعاً حقيقياً وهذا كل شيء». ثم بعد ان اقنعت آن بأنها قد ابتدأت تتحسن، اخذت تتتسائل عما منعها من ان تقبل النصيحة وتذهب إلى بيتها معتقدة بالحجة التي قدمتها إليها آن، وهي العدوى الجرثومية التي يbedo انها منتشرة في المنطقة.

حدثت نفسها مفكرة، ان الوقت لم يفت بعد. ان بإمكانها ان تنهض الآن وتخرج، بينما بإمكان آن ان توُكِّد مرضها لمن يسأل عنها، ربما عدة أيام في المنزل تستجمع فيها نفسها، يمكنها بعدها ان تعود إلى سابق سيطرتها على حياتها.

ولكن كان عليها ان تفعلها، وتلك إنقاذاً لكرامتها، انتها لن تدع دانيال يكون هو الذي يقول لها انتها لا تعني شيئاً في حياتها.

شعرت بالصمت يضغط عليها ويقاد يختنقها، ثم تكلم دانيال.

أثار صوته الخشن المليء بالمرارة، اعصابها والتي كانت متوردة أصلاً، وهو يسألها: «اتريدين ان تخبريني انك كنت تستعمليني بديلاً لخطيبك السابق، وان حديثك عن الحب والمشاعر كان في الحقيقة، موجهاً إلى بيفان؟» اجفلت شارلوت راجية ان لا يسمع احد في العمر صوتها، لما ذكرته، اتعل هذه في صوتها؟ يجب ان يكون مسروراً لتسهيل الأمور عليه، ولكن الرجال على كل حال معروفون بالأنانية بالنسبة إلى كبرياتهم، ولا شك انه لم يكن مسروراً لفكرة انها كانت تتخذه بديلاً لشخص آخر رغم علمه بأنه هو أيضاً يفعل الشيء نفسه معها.

ولكن مع هذا فقد أفرزها شيء ما في صوتها، ما جعلها تتندفع فجأة إلى موقف الدفاع: «اظنك تعتقد ان ليس على المرأة ان تتملکها مثل هذه المشاعر، فتشعر بالرغبة... كما يشعر الرجل».

تملك شارلوت الرعب بما تقوله، ولكنها لم تستطع ان تمنع الكلمات من التدفق وكان ثمة شخصاً آخر يسيطر عليها.

ثم قال دانيال بترفع: «اظن انه لا ينبغي لأحد، رجالاً كان أم امرأة، ان يتخذ انساناً بديلاً عن انسان آخر، سواء كان ذلك بالنسبة إلى المشاعر أم إلى الحاجة».

كانت قد اخذت بالنهوض من مكانها، عندما فتح الباب الموصل بين المكتبين ودخل دانيال.

«شارلوت، أريد ان اتحدث معك».

عرفت على الفور ان حديثه لن يكون عن العمل، وذلك من لهجة صوته، وتساءلت بمرارة عما عسى أن يحدثها عنه... ان الليلة الماضية كانت غلطة؟ وانه سيكون شاكراً لو انها تعتبر ان تلك الليلة لم تمر قط؟

حسناً، ان بإمكان اثنين ان يقوما بنفس اللعبة. وقفت مبتعدة عنه، مشححة بوجهها، مركرة نظراتها على مكتبهما، مقبضة يديها وهي تجاهد في جعل صوتا هادئاً متزناً وهي تقول: «ذلك بالنسبة إلى ليلة أمس... لا أظن في الواقع ان ثمة ما ينبغي ان يقال». «شارلوت...»

تجاهلت نداءه هذا لها وتابعت تقول: «انتي... انتا راشدان نحن الاثنتين، يا دانيال، وما كان حدث بیننا الليلة الماضية كان... حسناً، يجب ان تكون صادقة معك، حتى ولو... خفت ان تقتل الأمور من بين يدي، تلك التي كما كنت قد اخبرت ريتشارد عندما أجري لي المقابلة، تلك التي كنت مخطوبة، وتلك الخطيبة فضلت برضانا، نحن الاثنتين منذ أشهر... أنا لا أحب الاعتراف بما ساقوله الآن، ولكن حسناً... دعنا نقل انه يبدو انتي أفتقد بيفان، خطيببي السابق... ان ما حدث بیننا الليلة الماضية لا شأن لك به شخصياً... لقد كان... كان الأمر مجرد رغبة عابرة لا شأن لها بالمشاعر أو الحب».

حتى إن شارلوت نفسها اجفلت وهي تطلق هذه الكلبة،

ثم استدار مبتعداً عنها إلى مكتبه مغلقاً الباب خلفه بحزم. جلست شارلوت وهي ترتجف بعنف، ما الذي قالت؟ وأخذت تتناولها حالات البرودة والساخونة كلما ازداد استيعابها لقطاع العمل الذي قامت به.

تملكت دانيال ثورة غضب هائل منها، ولكنه استطاع السيطرة على طبعه، باستثناء كلمات الاحتقار تلك التي قالها لها وهو يغادر مكتبه، والتي رأتها لا تعني شيئاً ما دام هو نفسه يتصرف بعكسها.

ولكن إن تدعى بأنها كانت تستقله بديلاً لبيفان، وان يكون هو قد صدقها... فهذا ما لم تستطع احتماله. لكنها عادت تحدث نفسها بأن ما فعلته كان هو الأفضل... وإنها بهذه الطريقة تكون قد حفظت كرامتها على الأقل.

عندما حان موعد الغداء كانت قد أص比ت فعلاً بالصداع الذي كانت ادعت وجوده هذا الصباح.

وكانت سمعت خطوات دانيال وهو يسير في مكتبه جيئة وذهاباً، ونلّك لمدة عشر دقائق على الأقل بعد مغادرته مكتبيها، وبعد ذلك يبدو أنه قد غادر مكتبه.

لم تكن تزيد أن تسأل آن عن مكانه، طبعاً محدثة نفسها بحزم بأنها مسرورة لغيابه... وأنه بالنسبة إليها لم يعد يهمها حتى ولو لم تره مطلقاً بعد الآن، والأفضل أن لا تراه على كل حال.

بقيت في العمل أثناء فرصة الغداء، ذلك أنها لم تستطع احتمال التفكير في الطعام كما أنها لم تستطع مواجهة عطف بقية الموظفين عندما يرون شحوب وجهها. كما انه كان

عليها أن تعوض ما فاتها من عمل، ولكن ما ان حانت الساعة الثانية والنصف، حتى أصبحت لا تستطيع رؤية الكتابة التي أمامها بسبب الصداع الذي كان يعذبها، عند ذلك فقط اعترفت بالهزيمة، فاتصلت بآن تخبرها بأنها ستذهب إلى البيت.

قالت آن بحنان: «نعم عليك ان تذهب».

\*\*\*

لحسن الحظ وجدت المنزل خالياً، اختت حبتي أسبرين وبذلت ثيابها التي انتست في سريرها، ولكنها بدلأ من ان تنام، اختفت تستعرض كل ما جدّلها هذا النهار مع دانيال، دانيال يكشف لها عن مشاعرها نحوها... دانيال يتركها وينذهب ليجتمع مع باتريشيا... دانيال ينظر إليها باحتقار... دانيال ينظر إلى باتريشيا بحب ورغبة، دانيال يخبرها بأن عليها ان تعمل تحت إشرافه المباشر... دانيال يحدّثها عن ليبيا وجون، دانيال... دانيال... دانيال...

كانت قد استقررت في نوم مرهق لتوها، عندما صعدت والدتها إلى الطابق الأعلى وهي تهتف بقلق: «شارلوت، انك جئت مبكرة، ماذا حدث؟»

\*\*\*

أصرت شارلوت على الذهاب إلى العمل في اليوم التالي وذلك رغم معارضتها والدتها.

لقد قررت ان لا تفهم بالتمارض اضافة إلى كل شيء آخر، وعلى كل حال عندما وصلت إلى العمل نظرت إليها آن وهي

الأمر، فهو بالغ الثراء، وطبعاً هي تريده أن يراها بصورة حسنة.» وكشرت آن قليلاً، وقد عبرت ملامحها عن رأيها في باتشينا.

حدقت اليها شارلوت وقد تملّكتها فجأة الإضطراب، ما هذ  
الذى تتحدث آن عنه؟ وكيف تنشيء باتريشيا علاقة مع رجل  
جديد بينما هي مخطوبة لدانيل؟

ثم قالت ببيطه: «آن، لتنى لا افهم ما تحاولين قوله، هل  
دانىال وياتريشيا مخطوبان أم لا؟»  
فحذقت آن فيها ذاهلة: «مخطوبان؟ كلا طبعاً، لا...»

ما الذي أذن؟  
حسناً، إنك تعلمين أن زوج باتريشيا كان أصيب في حادث سيارة، وكانت اصابته تلك هي التي أدت إلى وفاته في المستشفى، ولكنه أُرسل بطلب دانيال قبل ان يموت ثم أخبره بأنه يريد أن يغير وصيته، ويبدو أنه كان قد شعر بأنه يمكن عادلاً بالنسبة لابن زوجته، وكان قد تشاخر معه لأن غوردون هذا لم يرض عن زواجه من باتريشيا، فكان ان رغم غوردون على ترك العمل والمنطقة كلها لهذا السبب، ولسوء الحظ، مات بول وينترز قبل ان يتمكن من توقيع وصيته، وكل تلك الاجتماعات التي كان دانيال يعقدها مع باتريشيا كانت لأنه كان يحاول اقناعها بأن تسلم غوردون قواليد العمل، كما كان زوجها الرحيل يريد. إنك تعرفين شيئاً ما في ذلك؟

شخصيّها، فقد رفضت هي البداية وبكل إصرار، ولكنها  
أخذت تلجم بعد ذلك إلى أنها قد تغيررأيها. لم يقل دانيال  
هذا، ولكنني أشتّهت في أنها كانت تمنيه بالقبول،  
متظاهرة بأنها تريد مقابلته بستان العمل، بينما في

تهافت كما فعلت والدتها: «هل انت واثقة من ان عليك ان تعودي إلى العمل؟ انك مازلت شاحبة إلى حد مخيف». نظرت إليها لاوبيا شفتيها: «كانت والدتي أقل لباقة، فقد قالت ابنة، مخيبة فقط».

فصحكت آن: «ساحضر اليك فنجان قهوة». انتظرتها شارلوت إلى أن عادت لتضع إمامتها على المكتب فنجان القهوة، كما احضرت لنفسها فنجانها الشاي.

**m/vb3** شيء هو قانوني، ولكن حتى...» حدقت شارلو特 اليها وقد تناقلت نكات قبلها، وانتابها ذننير بالشوم وهي تسأله: «ما هو الأمر؟ ماذا حدث؟»

«حسناً، إنك تعلمين ما كنت قلته عن انتي لا افهم السبب الذي يجعل دانيال يمضي كل هذا الوقت مع باتريشيا ويبيترز، خصوصاً بعد ان انتهت قضية املاك زوجها، حسناً، أغلن كان علينا ان تدرك الأمر، فقد كان واضحاً أنواعاً ما.»

سكتت لترشف الشاي، بينما تملك شارلوت شعور بالمرض، أدركت ما الذي ستصمم عليه، بالطبع، وهو ان دانيال وباتريشيا قد عقدا خطوبتهما، ذلك هو الخبر الذي ارادت أن تخبره به...

«طبعاً، وهذا هو طبع دانيا... ويمكنني ان افهم السبب الذي جعله يحتفظ به سراً، لا بد لي من القول انتي مازلت مندهشة لتع肯ك من تحقيق هدفه، رغم ان حقيقة إنشاء باتريشيا علاقة مع هذا الرجل الجديد لا بد ساعد في إنهاء

الحقيقة... ثم تعرفت إلى هذا الرجل الآخر. ومنذ ليلتين تلقى دانيال مخبرة منها تقول له إنها على استعداد للتحدث معه قانونياً عن التوقيع لغوردون بشأن العمل، ولكنها تريد إنهاء كل شيء بأسرع ما يمكن لأنها سترحل مع ذلك الرجل الجديد إلى فلوريدا لمدة غير محددة، ويبعد أن لديه أعمالاً هناك تتعلق بتطوير الملاحة أو ما أشبه ذلك... وقد أفلح دانيال في أن يجعل باتريشيا توقع على الأوراق الرسمية بشكل قانوني وذلك صباح أمس، وكان ذلك هو السبب في زيارته الباكرة لها، ويبعد انها كانا في الليلة السابقة قد بحثا كل شيء، ثم عاد إلى بيته وطبع الأوراق بنفسه، انه لم يقل ذلك، ولكنه أظنه لم يفاجئ الأوراق الأمامية كيلا يتغير رأيه.

قالت شارلوت بفتور: «ها... لقد فهمت، اظن... اظن ان دانيال لا بد أنه يشعر الآن بالسرور والإرتياح».

فقالت آن: «حسناً، هذا هو المفروض، ولكنه لاحظ، في الحقيقة، أمس ان ثمة شيئاً يشغل باله، هنالك طبعاً جنازة جون بالفور اليوم، وهذا هو سبب عدم حضوره إلى المكتب، فقد كان مولعاً جداً بذلك الرجل العجوز».

فأومأت شارلوت تقول: «نعم، نعم... هذا صحيح». كانت تشعر بندم هائل وشعور بالغ بالذنب، والأسوأ من ذلك عذابها المبرح المر لما فعلت... وما هدمته بيديها... ولكن كان بإمكان دانيال ان يخبرها... ان يشرح لها الأمر...»

وعضت شفتها معتبرة بأن كل ما حدث لم يكن سوى نتيجة لعدم الثقة بينهما، فهو لم يثق بها كزميلاً له، وهي لم

تنق به كرجل، وعسى على كل حال، ان تكون النتيجة خيراً، لأنه من دون الثقة المتبادلة لا يمكن ان تكون بينهما علاقة حقيقة.

ومع ذلك لم تستطع ان تمنع نفسها من التفكير في مقدار ما كلفها سوء حكمها على الوضع، لو أنها لم تتفز إلى مثل ذلك الاستنتاج الخاطئ... لو أنها انتظرت فقط... استمعت إليه صدقت ما كان قاله من ان الأمر كان يتعلق بالعمل. وأهم من كل شيء لو أنها بقى صباح أمس صامتة... فلا تسمح لكرامتها بأن تدفعها إلى التفوه بكل تلك الأكاذيب المشوهة التي تذكر ما كانت قالت له بالضبط، ثم تذكر ردة الفعل لديه.

\*\*\*

عاد دانيال إلى العمل، وقد اجاب على سؤال شارلوت المتعدد عن جنازة جون بالفور، وذلك بهدوء واختصار، ومع ان الباب الموصل بين المكتبيين بقي مفتوحاً، ومع انه تابع دخوله إلى مكتبه ليقف بجانبها مناقشاً تفاصيل العمل، دون ان يتغير شيء ظاهرياً، إلا ان كل شيء قد تغير داخلياً.

لم يعد يقف قريباً منها مثل قبل... لم تعد ترفع بصرها لتراءه يلاحظها بتلك النظارات التي كان تجعل قلبها يخفق بعنف، وحيث كان هناك الدفع... لم يعد يوجد شيء. كان يbedo وكأنه يتعمد الإبعاد عنها... لقد أصبح بينهما الآن حواجز غير مرئية جعلت من المستحيل عليها حتى ان

تفكير في الإقتراب من موضوع ذلك المساء الذي أمضياه معًا  
ومحاولة أن تشرح له السبب في تصرفها ذاك.

جربت مرة واحدة أن تفتح الموضوع مبتدئًا بالتعليق على  
أنه لا بد مسحور لنتيجة عمله في قضية غوردون جونسون.  
فقال باختصار: «لم يكن ذلك يدخل في عملي كمحام،  
وطبعًا كنت واعيًّا إلى أن محاولتي تنفيذ رغبة بول قد  
تجلب إلى تهمة محاولة الضغط على باتريشيا بشكل غير  
قانوني، ذلك أن وصية بول الحاضرة كانت قانونية تماماً،  
ولكنني كنت أعلم ماذا كانت رغبة بول، وطبعًا من الناحية  
الأخلاقية، كان هذا أمراً عادلاً بالنسبة إلى غوردون...  
ولكنني محام، ودومًا كان من الخطورة البالغة أن يقتل  
المرء العدالة بنفسه، كنت مهتمًا تماماً بإن اشتراكي في هذا  
الأمر ينبغي أن لا يؤثر على مكتب المحاماة عندي بأي  
شكل، وكان هذا هو السبب في أنه كان ينبغي أن يبقى هذا  
الأمر بأجمعه سراً حتى لستني لم استطع ان اطلع ريتشارد  
عليه، ولو كنت فعلت، لكن حذرني من مغبة ذلك كما كانت أنا  
سأفعل معه لو كان هو مكاني، وعلى كل حال، انتهى الأمر  
حسب رغبة بول لحسن الحظ».

وألقي عليها نظرة أقرب إلى العبوس، وهو يتبع قائلاً:  
«ومع ذلك فليس هذا مثلاً يمكنني أن أعطيه للمحامين الشبان،  
ولا أتوقع من المجتمع القانوني أن يقر وجهة نظرني في ذلك».«  
وكانت شارلوت قد وافقت على ذلك بقولها: «نعم، ثم إذا  
كانت باتريشيا وينترز قد خطر لها أن تقدم شكوى ضدك  
إلى المحكمة...»  
فقال لها عابساً: «بالضبط، وكما قلت، لم يكن من

المستحسن أن انصح أي محام بأن ي quam نفسه في وضع  
ك هذا. والآن بالنسبة إلى قضية هيلبير هذه...»  
وإذ أدركت شارلوت أنه يريد تغيير الموضوع، حولت  
اهتمامها ممتنعة إلى الملف الذي كان بين يديها.  
وفيمما بعد أخذت تفكّر وقد تملّكتها الحزن، في مبلغ ما  
أخطأته في حقه.

ربما كان على حق، إذن، في أن يشك في قدراتها المهنية.  
وفي أحلامها، عادت تعيش تلك اللحظات الهامة عندما  
أجاب على مخبرة باتريشيا وينترز... لقد أدركت في  
أحلامها فقط، إن عدّلها أن المخبرة تتعلق بالعمل  
فقد كان يقول الحقيقة... في أحلامها همست له بأنها  
ستنتظره... وأنها تحبه... وتربيده.

لكن الأحلام لم تكن هي الواقع. وعند نهاية الأسبوع كان  
عليها أن تعرف بأنها قد هدمت كل ما كان في طريق التطور  
في علاقتها. وفي العطلة الأسبوعية ذهبت لزيارة شقيقها،  
سألتها سارا برقة وهما تحدان الغداء: «ما الذي حدث؟»  
عند ذلك حدثتها شارلوت بكل شيء، لقول في النهاية:  
«والآن، لا أدرى ماذا أفعل».

رفعت سارا حاجبيها: طيس هناك ما تستطيعين فعله  
الآن سوى شيء واحد، وهو أن تذهبين لرؤيه، وتشرحين له  
كل شيء، اعترفي له بأنك أخطأت... اعترفي بأنك كنست  
عليه بالنسبة إلى بيفان».

فقطّعتها شارلوت بقولها: «كلا، كلا، لا يمكنني ذلك، هذا  
إلى أنه لا يريد أن يعلم، لقد كان بالغ البرودة نحو ياساره.»  
سألتها سارا: «اما كنت انت ستتصرين بهذا الشكل لو

كنت مكانه؟ إنك تحببته يا شارلوت، نحن الائتنان نعلم هذا. حسناً، إنه قد ينبع ذلك، وقد يقول لك إنه لم يعد يهتم بك، ولكن من المؤكد أن هذا يستحق ولو محاولة إيضاح الأمور، ضعي نفسك في موقفه ماذا سيكون شعورك لو كان قال لك نفس ما كنت أنت قلت له؟ إنك طبعاً سيسعير بالبرودة نحوك.» «ولكن ماذا لو رفض الاستماع إليّ؟ ماذا لو...؟» فقلت سارا: «شارلوت، انتي أخبرك بما عليك ان تفعلين، كل ما أقوله هو لو كنت انا مكانك لما تخليت عن حبي بهذه السهولة، فكري في ما ستخسرينه.»

قالت شارلوت عابسة: «سأخسر نقطتين لي من كرامة، ولكنها في طريقها إلى بيتها غسراً تلك اليوم لم تستطع ان تنسى كلمات سارا تلك، وعندما وصلت إلى المنعطف الذي تتحول عنده إلى منزل والديها، وجدت نفسها بدلًا من ذلك تواصل سيرها في الطريق المؤدي إلى داخل المدينة ومن ثم تتجه نحو منزل دانيال.

## الفصل العاشر

عندما اقتربت شارلوت من منزل دانيال، كانت تقصد شجاعتها وتعود ادراجهما لولا ان عادت فتذكرت كلمات سارا وكذلك مقدار حبها لDaniyal. من المؤكد ان كل ذلك يستحق منها المحاولة لكي...لكي ماذا؟

ألقت على نفسها هذا السؤال يائسة، هل لكي تتعرض إليه لكي يحبها كما تحبه كلا، لا يمكنها ان تقبل ذلك، حتى انها لا تعلم ما اذا كان قد ساوره قط أي شعور نحوها عدا عن مجرد الرغبة.

ماذا لو أنه رفض ان يستمع إلى شرحها؟ ماذا لو أنه في الواقع قد شعر بالارتياح لما انتهت إليه الأمور بينهما...؟ ماذا لو...؟

ها قد فات الوقت للعودـة، فقد أصبح البيت امامها، والأكثر من ذلك أنها رأت دانيال يعمل في حديقته الأمامية، كما أنه هو قد رآها أيضًا.

فقد رأته يلتفت ليحدّق في سيارتها. وما زالت قدمـه على المعـول التي كان يحفر بها الأرض، وعندما أوقفـت سيارتها في طريق بيـته، أخذ يسير نحوـها. كان يرتدي بنطلون جينز قـيمـاً باهـت اللـون وحـذـاء طـوـيلـاً وقد قـلبـ كـميـه إـلـى أـعـلـى، وكانت هـنـاك لـطـخـةـ من التـرابـ عـلـى إـحـدى وجـنـتيـه.

عندما أخذت تترجل من سيارتها ببطء، كان قلبها يخفق حباً له ويأساً من نتيجة هذه المقابلة.

«شارلوت».

لم يكن في صوته أي حرارة، كما لم تكن في عينيه أي ابتسامة، ما جعل ذلك الخطيب التحيل من الأمل الذي أحضرها إلى هنا، يذوي ويلاشى.

ولم يمنها من العودة إلى سيارتها والابتعاد عنه إلا وقوفه بينها وبين السيارة، كان حضورها عبئاً لا فائدة منه، وقد كانت حمقاء لقدموها إلى هنا، وما هي ذي الآن كل ما تريده هو أن تهرب بأسرع مما تستطيع، ولكنها كانت تعلم أن ليس بإمكانها الذهاب دون أن تقول شيئاً على الأقل.

نسيت كل الكلمات التي كانت استظهرتها، طوال الطريق إلى هنا، وتملكها الذعر وهي ترى دانيال واقفاً ينظر إليها بهذا الشكل وكأنها غريبة عنه، فاندفعت تقول: «هنا لك شيء أريد ان اخبرك به.»

لم تكن في النظرة التي رممتها بها أية رقة فقال لها: «أحقاً؟ يبدو من ملامحك أن ما تريدين قوله ليس من النوع الذي أحب سماعه.»

واستدار مبتعداً عنها، وأدركت هي أنه لن يسمح لها حتى بالбег في الشرح، وفجأة دفعتها مشاعر لم تستطع السيطرة عليها، إلى الركض خلفه وإمساكه من ذراعه، وتجاهلت ما أحسست به من انتياض عضلات المتبقي عن مقاومته لها، والرغبة في طردها تماماً كما تجاهلت القسوة التي رأتها في فمه وهو يلتفت إليها.

وقالت له متسللة: «أرجوك يا دانيال، يجب ان اتحدث إليك، ان... ان تلك مهم جداً». مضت لحظة ظلت فيها انه سسيطردها، ولكن يبدو انه قد غير رأيه، فأخذ ينقل بصره بينها وبين السماء الملبدة بالغيوم، ثم قال: «في هذه الحالة الأفضل ان ندخل إلى المنزل إذ يبدو وكأن المطر سينهم». وفعلاً ابتدأت قطرات ضخمة من المطر تتتساقط حتى قبل وصولهما إلى الباب.

وعندما أصبحا في الداخل كان الجرو قد اظلم إلى حد لم يجد دانيال منه بدا من إشعال الضوء، بعد ان أشار اليها بالدخول توقف ليخلع حذاءه، بينما أخذت هي تنظر إلى قطرات المطر على سعاديه وهي تكاد تختنق بما تشعر به من ألم وتعاسة. كان واضحاً من تصرفات دانيال نحوها أنه ما كان ينبغي لها ان تحضر إلى هنا، متى ستتعلم كيف تفكر قبل ان تقدم على العمل؟ ولا فائدة الآن من إلقاء اللوم على سارا فقد كان القرار قرارها هي.

وسمعته يقول: «هل يوفر علينا وقتنا نحن الاثنين إذا ما تکهنت أنا بما جئت أنت لأجله؟» زادت لهجته من عذابها، فقد خلت من كل المشاعر، ولكن دون إخفاء الاستثناء. كيف عرف؟ وهل كان يعلم طوال الوقت انها قد ذكرت عليه بالنسبة إلى بيافان؟ وشعرت بالغثيان لهذه الفكرة وكذلك لحمامتها.

قالت متسللة: «Daniyal...». لكنه سبقها بالقول وهو يصرف بأسنانه: «بل دعيني

ذلك النوع من النساء اللواتي يقمن بمثل هذا العمل؟ نعم، في البداية، في غمرة الانفعال الذي تملكتني وانا أراك تتبينيني، كنت.. كنت من عنف المشاعر، بحيث لم استمع إلى صوت العقل وما كان ظهره لي عندما صارتختي بحبك تلك الليلة... وهو انك تحببنتي.. انت تحببنتي أليس كذلك؟» لم تستطع ان تكتب إزاء إصراره هذا، فصاحت بصوت معذب: «نعم، نعم، انا احبك، فهل لك ان تدعوني اذهب من فضلك؟»

قال بحزن: «كلا». ثم كرر بصوت اكثر رقة: «كلا، لا استطيع ان اعطيك تذبذبين هذه المرة، شارلوت انتي متفهم لتبينيك رأيك، فقد اكون استعجلتك وسببت لك الذعر بعواطفني، ولكن لماذا لم تقولي هذا؟ اتفطمين كم سببت لي من الالم والمعاناة بتبنك لي بذلك الشكل؟» سكت لحظة ثم عاد يقول: «إياك ان تفعلي شيئاً كهذا بعد الآن، فإذا لم تكوني مستعدة لعقد التزام معـي... اذا كنت تريدين المزيد من الوقت، إذا كنت تشعرين بأنني اضغط عليك، فقولي هذا إذن، ولكن لا تطردیني من فضلك.»

ثم قال برقة فائقة: «انتي احبك يا شارلوت، ولا يمكنني تغيير مشاعري، ولن اعتذر عنها. فإذا لم يكن شعورك مماثلاً لشعورى، فعلي ان أقبل هذا، ولكن أرجوك ان لا تكتبني على، لا تخبرني بانك تحببنتي، ثم بعد ذلك تقولين بانك تريدين شخصاً آخر.»

أخذت شارلوت تحدّق إليه، وقد تألقت عيناهما بالمشاعر: «وهل انت تحببنتي حقاً؟» «منذ أول لحظة رأيتكم فيها تعبيرين الساحة، ولم أدرك

أتكلم... انك جئت لتخبريني بأن خطوبتك عادت مرة أخرى، وانكما...»

فقط فاتالم اكن... لقد انتهى كل شيء بيني وبين بيفان منذ زمن طويل... انتي لم أحبه قط و...»

ثم سكت فجأة وقد انتبهت إلى لهجتها وما تنضح به من ألم وذكر، كانت ترتجف بالرغم من الدفء في المطبخ.

قال يحذرها: «شارلوت.» فسمعت الانهاك في صوته مزيجاً بشيء آخر... شيء اخبرها بأنه لن يسمع لها بالتراجع الآن. وفجأة شعرت باللهفة إلى ان ينتهي كل شيء وتلذلذت به منه ومن كل هذا الإذلال.

رفعت رأسها واخذت تحدّق اليه، محاولة تجاهل خداع حواسها، وذلك الألم الغادر داخلها، وهي تقول له: «لقد كنّت عليك، يا دانيال، عندما قلت لك انتي... انك... عندما اخبرتك انتي كنت افقد بيفان.. كنت اكذب.»

لم تستطع ان تقول أي شيء آخر، فالامر له الآن، الأمر له في ان ينبع أو يقبل ما قالـت... ان يطلب منها الإياضـاح، وإذا به، وهي تنتظر، يقول آخر شيء كانت تتوقع سماعـه، قال: «أعـرف هذا». ودمـر هذا سـيـطرـتها على نفسـهاـ كـلـيـاـ، فـاتـجهـت نحوـ الـبابـ وـقدـ أـعـمـتـهاـ الـدـمـوعـ، لاـ تـكـادـ تـثـقـ بماـ سـمعـتهـ.

كان يعلم طوال الوقت انها كانت تكتب، كان يعلم بأنها تكتب وهي تهين نفسها بذلك الشكل.

أنمسـكـ بهاـ قبلـ انـ تـصلـ إـلـىـ الـبـابـ، مـتـجـاهـلـاـ المـقاـومـةـ العنـيفـةـ التيـ قـاتـلـتـ بهاـ.

شارلوـتـ هلـ ظـلتـ حـقـاـ اـنـتـ صـدـقـتـ لـحـظـةـ وـاحـدةـ بـاـنـكـ

انك انت المحامية التي كان ريتشارد قد أجرى لها المقابلة، والتي كنا بانتظارها، لم أدرك ذلك إلا بعد ان رأيت تدخلين إلى مكتبنا.

عندما أصر ريتشارد على اتنا بحاجة إلى من يساعدنا على ان يكون مؤهلاً، لم أوفقه على ذلك، في الحقيقة. ولكنه بقى على إصراره، ولهذا تركت كل الترتيبات له، ثم عندما رأيت...

ربما ليس على ان اعترف بذلك، فهو بعيد عن روح المهنة بالنسبة إلي، وانا اعلم ان ريتشارد لا بد كان متشككاً للغاية لتعييرديرأيي عندما اخبرته بانني أريدك أن تعطلي مساعدة لي وحدي بالنظر لكثره العمل الذي يقبل كاملاً. «هل اريتني مساعدة لك لأنك... لأنك...»

«لأنني أحببتك». «ولكني ظننت...»

سرت لأنك كان ما يزال ممسكاً بها، ولو لا ذلك لوقعت على الأرض حتماً لشدة الصدمة.

فسألها برقة زائدة: «ألم شعرت بذلك؟»

«كنت اظنك لا تثق بي، ظننتك ت يريد ان تجعلني تحت رقابتك لأنك... لأنك كنت تشكي في قدراتي المهنية.» رأت الدھشة البالغة في عينيه، ثم عبس وهو يقول: «ما الذي جعلك تظنين ذلك؟»

«حسناً، لأنك ناجح جداً، كنت أسمع اسمك في كل مكان، وكذلك عن نجاحك في قضية شركة الأدوية تلك فيتال، بينما أنا كنت.. حسناً، كنت فعلاً على شفير الإفلاس، لقد وقعت في كل الأخطاء... المعروفة كنت اشعر ببنفسى فاشلة للغاية،

و حين رأيت لك تشرف علي... و ظننتك تشك بكتاعتي». سكتت فجأة وقد خفتها الدموع.

فقال بصوت بدا فيه الذهول والارتياك: «هل كنت تظنين ذلك حقاً؟ ولكن لماذا... لماذا لم تقولي شيئاً؟»

«وماذا أقول؟ كيف اتهمك بعدم الثقة بي بينما أنا نفسى اعلم ان لديك كل الحق في ذلك؟ كنت متلهفة إلى ان اجعلك تثق بي، وأن تعتبرني زميلة لك.»

«ولكنني فعلت ذلك... وما زلت، يا شارلوت، فقد رأيت شهاداتك، اتنى اعلم مبلغ المساحة التي حاولت بها النهوض بعملك، واعرفكم بذلت من الوقت والعمل لأجل أناس لم يدفعوا لك أجراً.»

فقالت بإصرار: «ومع ذلك فقد فشلت، فكانت المذلة التي لحقت بي، وفقدانى تقديرى واحترامي لنفسى، كانت مشاعر لن تتمكن انت أبداً من فهمها، يا دانيال، فقد كنت ناجحاً على الدوام.»

فنظر اليها متوجهماً: «تظنين ذلك؟ لقد كنت فشلت في الامتحان النهائي.»

وعندما رأى النظرة التي بدت في عينيها، قال لها موكداً: «نعم، هذا صحيح، كنت اظننى منيعاً لا أقهـر... وانتى أصبحت اعرف كل شيء، لقد حاولت ليبـيا تحـيـري، ولكن ما الذى كانت تعرفه؟ فهي ليست سوى امرأة، لا تدعـو ان تكون محامية أريافـا، أما انا فكـنت في الجـامـعـة... آه انتى اعـرف طـعم الفـشـل، يا شـارـلوـت... ليس الفـشـل الذى جـربـته انت والـذـي من الواضح انه كان بـنتـيـة كـونـكـ كنت ضـحـيـة الـظـروفـ، فـانـا لم اـكـن ضـحـيـة، وـانـا الـذـي خـلـقـتـ ظـرـوفـيـ

الخاصة، فقد تجاهلت بكل إرادتي تحذيرات أستاذتي وكذلك الشخص الذي كان عليّ أن احترم حكمه أكثر من أيّ إنسان آخر.

عندما فشلت في الامتحان النهائي، لم استطع تصديق ذلك، وأنا أخجل إذ أقول إنني لم أشعر حتى بالندم، خصوصاً في البداية، فقد اعتبرت ذلك ندب كل شخص آخر ما عداي، وعند ذلك أخبرتني بليدياً بأنني أخادع نفسي، كما أخبرتني أيضاً بمبلغ احترارها إلى وكل شخص مثلي يبدد موهبه وقدراته، متوقعاً أن يحصل من الحياة على كل حسانتها وخيراتها، أخبرتني بصراحة أن ليس ثمة مكان هنا في هذا المكتب لشخص مثلي، عند ذلك فقط أدرك مبلغ رغبتي في أن التحق بهذا المكتب، وكم كنت أحمق فعلاً، شعرت بأنني خسرت كل الحق في أن أحظى باحترامها، وعند ذلك شعرت بمبلغ أهمية ذلك الاحترام بالنسبة إليّ.

لقد أخبرتني قبل أن تموت بأنها كانت مسروقة لأنني كنت جربت الفشل، لأن ذلك علمي التواضع، وإن ذلك جعلني محاماً أفضل كثيراً، والأكثر أهمية هو أنه جعلني رجلاً أفضل.

لم يكن رأي بليدياً في الرجال، جيداً وربما كان لديها سبب وجيه لذلك، فقد عاملوها بشكل سيء جداً عند بداية تخرجهما، ثم عندما أنشأت مكتبهما، ولكنها كافحت وتغلبت على هذه العقبات إنما ليس دون ثمن، على كل حال وطالما كنت أتساءل عما إذا كانت تمنت، يوماً ما، لو أنها كانت اختارت حياة مختلفة، حياة استقرار مع زوج وأولاد». سكت وهو ينظر إليها ببرقة فاتحة، ثم يتبع قائلة: «إياك ان تظني مرة أخرى انني لا اعرف معنى الفشل».

فهزت شارلوت رأسها، كم كانت مخطئة، وبالنسبة لأشياء كثيرة، كثيرة.

قالت له بكتابة: «في الليلة التي كنت فيها هنا وتعيشينا معاً تلك الليلة التي اتصلت بك فيها باتريشا وينترز، ظننتكما... ظننتكما حبيبين، ذلك هو السبب الذي جعلني أقول لك إنني كنت أتمنى لو أنك بيفان».

نظر إليها طويلاً، ثم قال بهدوء: «لم استطع ان اخبر أحداً، حتى انت ما كنت أحاول القيام به، وذلك لسبب واحد... حسناً لم أكن واثقاً من ان هذا العمل اخلاقي، ولو ضميرياً كنت أعلم ما كان يرغي بول وينترز فيه، ولكنني بصفتي محامياً كنت أعلم أيضاً ان وصيته كانت قانونية تماماً. ولم أشا ان أورط مكتبنا في قضية امام المحكمة إذا أرادت باتريشا ان تدعى عليّ بمزاولة ضغط عليها، وأيضاً في نفس الوقت كنت اشعر بالالتزام اخلاقياً بان ابذل جهدي في سبيل تحقيق رغبة بول وينترز الأخيرة، وعلى كل حال فقد كان رجلاً بالغ الثراء، وما له يكفي لها هما الاثنين، ولكن باتريشا لم تشا أن تنظر إلى الأمر بتلك الطريقة إلا بعد أن دخل بان في ذكر في حياتها. إنه سيتزوجها ويعيشان معاً بصورة دائمة في فلوريدا... ولكننا أنا وأنت لدينا شيء لتحدث فيه أهم كثيراً من باتريشا وينترز».

«أحقاً؟»

وألقت عليه نظرة ساخرة متصنعة البراءة: «آه اظنك تعني قضية دانفرز، كنت أقرأ الملف يوم الجمعة وأظن...» فقطاعها قائلاً: «كفى، ان ما افكر فيه لا علاقة له بالعمل».

ثم همس يقول: «أريدك ان تكرري ما قلته مرة، هل تحبيتنني حقاً، يا شارلوت؟»  
فأجابته هامسة: «نعم، نعم.»

«وإلى حد يكفي لكى تتزوجيني؟ يكفي لكى تمضي بقية حياتك معى... يكفي لكى تتجبى لي أولاداً؟»  
فقالت وهي تضحك بسعادة: «يكفى لكى لك ذلك وأكثر.»

*lilas.com/vb3*

تمت

نور